تاريخ ابن خلدون
المجلد الثالث
ص 3-125

القِسْم الأول
من تاريخ العلامة ابن خلدون
دَولة بني أُمَيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

(كان) لبني عَبْدُ مَنَافَ في قُرَيْش جُمَلٌ من العدد والشرف لا يناهضهم فيها أحد من سائر بطون قُرَيْش. وكان فخذاهم بنو أمَيَّة وبنو هاشم حياً جميعاً ينتمون لعبد مناف وينسبون إليه. وقريش تعرف ذلك وتسأل لهم الرياسة عليهم، إلا أن بني أمية كانوا أكثر عدداً من بني هاشم وأوفر رجالاً، والعِزةُ إنما هي بالكثرة، قال الشاعر:

وإنما العِزةُ للكَاثر

وكان لهم قبيل الإِسلام شرف معروف، انتهى إلى حرب بن أُمَيَّة، وكان رئيسهم في حرب الفُجَّار. وحدث الإخباريون أن قريشاً تواقعوا ذات يوم، وحرس هذا مسند ظهره إلى الكعبة، فتبادر إليه غلمة منهم ينادون ياعم أدرك قومك، فقام يجرَ إزاره حتى أشرف عليهم من بعض الربا، ولَوح بطرف ثوبه إليهم أن تعالوا فبادرت الطائفتان إليه بعد أن كان حمي وطيسهم.(ولما) جاء الإِسلام ودُهِشَ الناس لمّا وقع من أمر النبوَّة والوحي وتنزل الملائكة، وما وقع من خوارق الأمور ونسي الناس أمر العَصَبِيَّة مسلمهم وكافرهم. أمَّا المسلمون فنهاهم الإِسلام عن أُمور الجاهلية كما في الحديث أنَّ الله أذهب عنكم عُبِيَّةّ الجاهلية وفخرها لأننا وأنتم بنو آدم، وآدم من تراب. وأمَّا المشركون فشغلهم ذلك الأمر

العظيم عن شأن العصائب، وذهلوا عنه حيناً من الدهر. ولذلك لمّا افترق أمر بني أُمَيَّة وبني هاشم بالإِسلام. إنما كان ذلك الافتراق بحصار بني هاشم في الشعب لا غير. ولم يقع كبير فتنة لأجل نسيان العصبيات والذهول عنها بالإِسلام، حتى كانت الهجرة وشرع الجهاد. ولم يبق إلا العَصَبِيَّة الطبيعية التي لا تفارق وهي بعزّة الرجل على أخيه وجاره في القتل والعدوان عليه، فهذه لا يُذهبها شيءٌ ولا هي محظورة، بل هي مطلوبة ونافعة في الجهاد والدعاءِ إلى الدين.ألا ترى إلى صَفْوان بن أُمَيَّة وقوله عندما انكشف المسلمون يوم حُنَيْن، وهو يومئذ مشرك في المدَّة التي جعل له رسول الله

(بعث معاوية العمال إلى الأمصار)

لمّا استقل معاوية بالخلافة عام عدم الجماعة بعث العمّال إلى الأمصار، فبعث على الكوفة المُغِيرة بن شُعْبَة. ويقال إنه ولّى عليها أوّلا عَبْدَ الله بن عَمْرو بن العَاص، فأتاه المغيرة منتصحاً، وقال: عمرو بمِصْرَ وابنه بالكوفة فأنت بين نابي أسد، فعزله وولّى المغيرة. وبلغ

ذلك عمراً فقال لمعاوية: يختان المال فلا تقدر على ردّه، فعد فاستعمل من يخافك. فنصب المُغِيرَة على الصلاة، وولّى على الخراج غيره، وكان على القضاء شُرَيح. (ولما وَلىَ) المغيرة على الكوفة استعمل كُثَيّر بن شهاب على الريّ، وأقرّه زياد بعده. وكان يغزو الدَيْلُم. ثم بعث على البصرة بسر بن أرْطَأَة، وكان قد تغلّب عليها حمران بن زيد عند صلح الحسن مع معاوية، فبعث بسراً عليها فخطب الناس وتعرض لعليّ. ثم قال: نشدت الله رجلاً يعلم أني صادق أو كاذب، ولا صدقني أو كَذَّبَني. فقال أبو بكرة: اللهم لا نعلمك إلّا كاذباً، فأمر به فخنق. فقام أبو لُؤْلُؤَة الضَبِيّ فدفع عنه. وكان على فارس من أعمال البصرة زياد ابن أبيه. وبعث إليه معاوية يطلبه في المال فقال: صرفت بعضه في وجهه، واستودعت بعضه للحاجة إليه، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمه الله. فكتب إليه معاوية بالقدوم لينظر في ذلك، فامتنع. فلما ولي بِسْرُ على البصرة جمع عنده أولاد زياد والأكابر عَبْد الرحمن وعبد الله وعبّاد وكتب إليه لتقدمنَّ أو لأقتلن بنيك فامتنع واعتزم بِسْر على قتلهم، فأتاه أبو بكرة وكان أخا زياد لأمّه فقال: أخذتهم بلا ذنب.وصالح الحسن على أصحاب عليّ حيث كانوا، فأمهله بِسْر إلى أن يأتي بكتاب معاوية. ثم قدم أبو بكرة على معاوية وقال: إنّ الناس لم يبايعوكَ على قتل الأطفال، وإن بِسراً يريد قتل بني زياد! فكتب إليه بتخليتهم وجاء إلى البصرة يوم المهاد، ولم يبق منه إلاَّ ساعة وهم موثقون للقتل فأدركهم وأطلقهم انتهى.(ثم عزل) معاوية بِسراً عن البصرة، وأراد أن يولي عُتْبَة بن أبي سفيان، فقال له ابن عامر: إن لي بالبصرة أموالاً وودائع، وإن لم تولني عليها ذهبت. فوّلاه وجعل إليه معها خراسان وسجستان. وقدمها سنة إحدى وأربعين فولي على خراسان قيس بن الهيثم السلمي، وكان أهل بلخ وباذغيس وهراة وبوشلج قد نضوا، فسار إلى بلخ وحاصرها حتى سألوا الصلح وراجعوا الطاعة. وقيل إنما صالحهم الربيع بن زياد سنة إحدى وخمسين على ما سيأتي. (ثم قدم) قيس على ابن عامر فضربه وحبسه وولى مكانه عَبْد الله بن حازم، وقدم خراسان فأرسل إليه أهل هراة وباذغيس وبوشلج في الأمان والصلح فأجابهم وحمل لابن عامر مالا انتهى. ثم ولى معاوية سنة اثنتين وأربعين على المدينة مروان بن الحكم وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام. واستقضى مروان عَبْد الله بن الحارث بن نوفل، وعزل مروان عن المدينة سنة تسع وأربعين، وولى مكانه سعيد بن العاص، وذلك لثمان سنين من

ولايته. وجعل سعيد على القضاء ابن عَبْد الرحمن مكان عَبْد الله بن الحرث ثم عزل معاوية سعيداً سنة أربع وخمسين وردّ إليها مروان.

(قدوم زياد): وكان زياد قد امتنع بفارس بعد مقتل علي كما قدّمناه، وكان عَبْد الرحمن ابن أخيه أبي بكرة يلي أمواله بالبصرة، ورفع إلى معاوية أن زياداً استودع أمواله عَبْد الرحمن، فبعث إلى المغيرة بالكوفة أن ينظر في ذلك، فأحضر عَبْد الرحمن وقال له: إن يكن أبوك أساء إليّ فقد أحسن عمك، وأحسن العذر عند معاوية. (ثم قدم المغيرة) على معاوية فذكر له ما عنده من الوجل باعتصام زياد بفارس فقال داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل، فما آمن أن يبايع لرجل من أهل البيت، ويعيد الحرب خدعة، فاستأذنه المغيرة أن يأتيه ويتلطف له ثم أتاه وقال: إنّ معاوية بعثني إليك وقد بايعه الحسن ولم يكن هناك غيره، فخذ لنفسك قبل أن يستغني معاوية عنك. قال أشر عليّ والمستشار مؤتمن. فقال: أرى أن تشخص إليه، وتصل حبلك بحبله، وترجع عنه. فكتب إليه معاوية بأمانه. وخرج زياد من فارس نحو معاوية، ومعه المنجاب بن رابد الضبي وحارثة بن بدر الغداني، واعترضه عَبْد الله بن حازم في جماعة وقد بعثه ابن عامر ليأتيه به فلما رأى كتاب الأمان تركه، وقدم على معاوية، فسأله عن أموال فارس، فأخبره بما أنفق وبما حمل إلى علي وبما بقي عنده مودعا للمسلمين، فصدقه معاوية وقبضه منه. ويقال: إنه قال له أخاف أن تكون مكروباً بي فصالحني فصالحه على ألفي ألف درهم بعث بها إليه، واستأذنه في نزول الكوفة فأذن له. وكان المغيرة يكرمه ويعظمه، وكتب إليه معاوية أن يلزم زياداً وحجر بن عدي وسليمان بن صرد وسيف بن ربعي وابن الكوا وابن الحميق بالصلاة في الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلوات.

(عمّال ابن عامر على الثغور): لمّا وُلّي ابن عامر على البصرة استعمل عَبْد الرحمن بن سمرَة على سجستان، فأتاها وعلى شرطتها عباد بن الحصين، ومعه من الأشراف عمر بن عبيد الله بن معمر وغيره. وكان أهل البلاد قد كفروا. ففتح أكثرها حتى بلغ كابُل، وحاصرها أشهراً، ونصب عليها المجانيق حتى ثلم سورها، ولم يقدر المشركون على سد الثلمة. وبات عباد بن الحسين عليها يطاعنهم إلى الصبح، ثم خرجوا من الغد للقتال فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة اهـ . (ثم سار) إلى نسف فملكها عنوة، ثم إلى حسك فصالحه أهلها

ثم إلى الرجح فقاتلوه وظفر بهم وفتحها اهـ. ثم إلى زابلستان (وهي غزنة) وأعمالها، ففتحها ثم عاد إلى كابل وقد نكث أهلها ففتحها اهـ. (واستعمل) على ثغر الهند عَبْد الله بن سوار العبديّ، ويقال بل ولّاه معاوية من قبله فغزا التيعان فأصاب مغنماً ووفد على معاوية وأهدى له من خيولها، ثم عاد إلى غزوهم فاستنجدوا بالترك وقتلوه، وكان كريماً في الغاية. يقال: لم يكن أحد يوقد النار في عسكره، وسأل ذات ليلة عن نار رآها فقيل له خبيص يصنع لنفساء، فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة أيام.(واستعمل) على خراسان قيس بن الهيثم، فتغافل بالخراج والهدنة فولى مكانه عَبْد الله بن حاتم. فخاف قيسا وأقبل، فزاد ابن عامر غضباً لتضييعه الثغر وبعث مكانه رجلاً من يشكر وقيل أسلم بن زرعة الكِلابي اهـ. ثم بعث عَبْد القه بن حازم، وقيل إنّ ابن حازم قال لابن عامر إنّ قيساً لا ينهض بخراسان، وأخاف إن لقي قيس حرباً أن ينهزم ويفسد خراسان، فاكتب لي عهداً إن عجز عن عدوّ قمت مقامه. فكتب وخرجت خارجة من طخارستان فأشار ابن حازم عليه أن يتأخر حتى يجتمع عليه الناس، فلما سار غير بعيد أخرج ابن حازم عهده، وقام بأمر الناس وهزم العدوّ. وبلغ الخبر إلى الأمصار فغضبت أصحاب قيس، وقالوا خدع صاحبنا، وشكوا إلى معاوية فاستقدمه، فاعتذر فقبل منه، وقال له أقم في الناس بعذرك ففعله اهـ. (وفي سنة) ثلاث وأربعين توفي عمرو بن العاص بمصر فاستعمل معاوية عَبْد الله ابنه.

(عزل ابن عامر): وكان ابن عامر حليماً ليّناً للسفهاء، فطرق البصرة الفساد من ذلك. وقال له زياد جرّد السيف، فقال :لا أصلح الناس بفساد نفسي. ثم بعث وفدا من البصرة إلى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة، ومنهم ابن الكوا، وهو عَبْد الله بن أبي أوفى اليشكري. فلما سألهم معاوية عن الأمصار أجابه ابن الكوا بعجز ابن عامر وضعفه، فقال معاوية: تكلم على أهل البصرة وهم حضور، وبلغ ذلك ابن عامر فغضب وولى على خراسان من أعداء ابن الكوا عَبْد الله بن أبي شيخ اليشكري، أو طفيل بن عوف، فسخر منه ابن الكوا لذلك وقال: وددت أنه ولى كل يشكري من أجل عداوتي. ثم إن معاوية استقدم ابن عامر، فقدم

وأقام أياماً فلما ودعّه قال: إني سائلك ثلاثا، قال هن لك، قال ترد علي عملي ولا تغضب، وتهب لي مالك بعرفة ودورك بمكة، قال: قد فعلت. قال وصلتك رحم، فقال ابن عامر وإني سائلك ثلاثاً: ترد علي عملي بعرفة ولا تحاسب لي عاملاً، ولا تتبع لي أثرا وتنكحني ابنتك هندا. قال قد فعلت! ويقال إن معاوية خيره بين أن يرده على اتباع أثره وحسابه بما سار إليه، أو يعزله ويسوغه ما أصاب. فاختار الثالثة فعزله وولى مكانه الحارث بن عَبْد الله الأزدي.

(استخلاف زياد): كانت سُمَيَّةُ أم زياد مولاة للحرث بن كندة الطبيب، وولدت عنده أبا بكرة، ثم زوجها بمولى له، وولدت زياداً. وكان أبو سفيان قد ذهب إلى الطائف في بعض حاجاته فأصابها بنوع من أنكحة الجاهلية. وولدت زياداً هذا ونسبه إلى أبي سفيان وأقر لها به، إلا أنه كان بخفية، ولما شبّ زياد سمت به النجابة. واستكتبه أبو موسى الأشعري وهو على البصرة، واستكفاه عمر في أمر فحسن منار دينه وحضر عنده يعلمه بما صنع، فأبلغ ما شاء في الكلام. فقال عمرو بن العاص –وكان حاضرا– لله هذا الغلام، لو كان أبوه من قُرَيْش لساق العرب بعصاه. قال أبو سفيان وعلي يسمع: والله إني لأعرف أباه ومن وضعه في رحم امه، فقال له علي: اسكت فلو سمع عمر هذا منك كان إليك سريعا. ثم استعمل علي زياداً على فارس فضبطها وكتب إليه معاوية يتهدده، ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه فقام في الناس فقال: عجبا لمعاوية يخوفني دين ابن عم الرسول في المهاجرين والأنصار. وكتب إليه علي إني وليتك وأنا أراك أهلا وقد كان من أبي سفيان فلتة من آمال الباطل وكذب النفس، لا توجب ميراثا ولا نسباً. ومعاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام اهـ. ولما قتل علي وصالح زياد معاوية، وضع مصقلة بن هبيرة الشيباني على معاوية ليعرض له بنسب أبي سفيان ففعل، ورأى معاوية أن يستميله باستلحاقه، فالتمس الشهادة بذلك ممن علم لحوق نسبه بأبي سفيان، فشهد له رجال من أهل البصرة وألحقه، وكان أكثر شيعة علي ينكرون ذلك وينقمونه على معاوية حتى أخوه أبو بكرة. وكتب زياد إلى عائشة في بعض الأحيان من زياد بن أبي سفيان يستدعي جوابها بهذا النسب ليكون له حجة، فكتبت

إليه: من عائشة ام المؤمنين إلى ابنها زياد. وكان عَبْد الله بن عامر يبغض زياداً، وقال يوماً لبعض أصحابه من عَبْد القيس: ابن سمية يقبح آثاري ويعترض عمالي لقد هممت بقسامة من قُرَيْش أن أبا سفيان لم ير سمية. فأخبر زياد. بذلك، فأخبر به معاوية. فأمر حاجبه أن يرده من أقصى الأبواب وشكا ذلك إلى يزيد، فركب معه فأدخله على معاوية، فلما رآه قام من مجلسه ودخل إلى بيته. فقال يزيد نقعد في انتظاره، فلم يزالا حتى عدا ابن عامر فيما كان منه من القول، وقال إني لا أتكثر بزياد من قلة، ولا أتعزز به من ذلة، ولكن عرفت حق الله فوضعته موضعه فخرج ابن عامر وترضى زياداً ورضى له معاوية.

(ولاية زياد البصرة):كان زياد بعد صلح معاوية واستلحاقه نزل الكوفة، وكان يتشوف الإمارة عليها. فاستثقل المغيرة ذلك منه فاستعفى معاوية من ولاية الكوفة فلم يعفه. فيقال إنه خرج زياد إلى الشام، ثم إن معاوية عزل الحارث بن عَبْد الله الأزدي عن البصرة وولى عليها زياداً سنة خمس وأربعين. وجمع له خراسان وسجستان. ثم جمع له السند والبحرين وعمان، وقدم البصرة فخطب خطبته البتراء وهي معروفة. وإنما سميت البتراء لأنه لم يفتتحها بالحمد والثناء، فحذرهم في خطبته ما كانوا عليه من الانهماك في الشهوات والاسترسال فى الفسق والضلال، وانطلاق أيدي السفهاء على الجنايات، وانتهاك الحرم وهم يدنون منهم، فأطال في ذلك. عنفهم ووبخهم وعرفهم ما يجب عليهم من الطاعة، من المناصحة والانقياد للأمة. وقال لكم عندي ثلاث :لا أحتجب عن طالب حاجة، ولو طرقني ليلا. ولا أحبس العطاء عن إباية ولا أحمر البعوث. فلما فرغ من خطبته قال له عَبْد الله بن الأيهم أشهد أنك اوتيت الحكمة وفصل الخطاب. قال كذبت ذاك نبي الله داود. ثم استعمل على شرطته عَبْد الله بن حصين، وأمره أن يمنع الناس من الولوج بالليل. وكان قد قال في خطبته لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه. وكان يأمر بقراءة سورة البقرة بعد صلاة العشاء مؤخرة. ثم يمهل بقدر ما يبلغ الرجل أقصى البصرة. ثم يخرج صاحب الشرطة فلا يجد أحدا إلا قتله، وكان أول من شدد أمر السلطان وشيد الملك، فجرد السيف وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، وخافه السفهاء والدّعار، وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم، حتى كان الشيء يسقط من يد الإنسان فلا يتعرض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه، ولا يغلق أحد بابه، وأدر العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف. وسئل في

إصلاح السابلة فقال: حتى أصلح المصر. فلما ضبطه أصلح ما وراءه، وكان يستعين بعدة من الصحابة منهم عمران بن حصين ولاه قضاء البصرة فاستعفى، فولى مكانه عَبْد الله بن فضالة الليثي، ثم أخاه عاصماً، ثم زرارة بن أوفى وكانت أخته عند زياد، وكان يستعين بأنس بن مالك، وعبد الرحمن بن سمرة، وسمرة بن جندب. ويقال إن زياداً أول من سير بين يديه بالحراب والعمد، واتخذ الحرس رابطة، فكان خمسمائة منهم لا يفارقون المسجد. ثم قسم ولاية خراسان على أربعة فولّى على مرو أمين بن أحمد اليشكري، وعلى نيسابور خليد بن عَبْد الله الحنفي وعلى مرو الروذ والعاربات والطالقات قيس بن الهيثم. وعلى هراة وباذغيس وبوشنج نافع بن خالد الطائي. ثم إن نافعا بعث إليه بجواد باهر غنمه في بعض وجوهه، وكانت قوائمه منه، فأخذ منها قائمة وجعل مكانها أخرى ذهبا، وبعث الجواد مع غلامه زيد وكان يتولى اموره، فسعى فيه عند زياد بأمر تلك القائمة، فعزله وحبسه، وأغرمه مائة ألف كتب عليه بها كتاباً، وقيل ثمانمائة ألف. وشفع فيه رجال من الأزد، فأطلقه. واستعمل مكانه الحكم بن عمرو الغفاري، وجعل معه رجالاً على الجباية منهم أسلم بن زرعة الكلابي. وغزا الحكم طخارستان، فغنم غنائم كثيرة. ثم سار سنة سبع وأربعين إلى جبال الغور، وكانوا قد ارتدوا، ففتح وغنم وسبى وعبر النهر في ولايته إلى ما وراءه. فملأه غارة. ولما رجع من غزاة الغور مات بمرو، واستخلف على عمله أنس بن أبي إياس بن ربين، فلم يرضه زياد. وكتب إلى خليد بن عَبْد الله الحنفي بولاية خراسان، ثم بعث الربيع بن زياد المحاربي في خمسين ألفاً من البصرة والكوفة.

(صوائف الشام) ودخل المسلمون سنة اثنتين وأربعين إلى بلاد الروم، فهزموهم وقتلوا جماعة من البطارقة، وأثخنوا فيها. ثم دخل بسر بن أرطاة أرضهم سنة ثلاث وأربعين، ومشى بها وبلغ القسطنطينية. ثم دخل عَبْد الرحمن بن خالد وكان على حمص، فشتى بهم وغزاهم بسر تلك السنة في البحر. ثم دخل عَبْد الرحمن إليها سنة ست وأربعين فشتى بها، وشتى أبو عَبْد الرحمن السبيعي على أنْطاكِية. ثم دخلوا سنة ثمان وأربعين، فشتى عَبْد الرحمن بأنْطاكِية أيضاً، ودخل عَبْد الله بن قيس الفزاري في تلك السنة بالصائفة. وغزاهم مالك بن هبيرة اليشكري في البحر وعقبة بن عامر الجهني في البحر أيضاً بأهل مصر وأهل المدينة. ثم دخل مالك بن هبيرة سنة تسع وأربعين فشتى بأرض الروم، ودخل عَبْد الله بن كرز الجيلي بالصائفة، وشتى يزيد بن ثمرة الرهاوي في بلاد الروم بأهل الشام في البحر

وعقبة بن نافع بأهل مصر كذلك. ثم بعث معاوية سنة خمسين جيشا كثيفاً إلى بلاد الروم مع سفيان بن عوف، وندب يزيد ابنه معهم فتثاقل فتركه. ثم بلغ الناس أن الغزاة أصابهم جوع ومرض، وبلغ معاوية أن يزيد أنشد في ذلك

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم بالفدفد البيد من حمى ومن شوم

إذا اتطأت على الأنماط مرتفقاً بدير مران عندي أم كلثــوم

وهي امرأته بنت عَبْد الله بن عامر، فحلف ليلحقن بهم فسار في جمع كثير، جمعهم إليه معاوية. فيهم ابن عباس وابن عامر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري، فأوغلوا في بلاد الروم وبلغوا القسطنطينية وقاتلوا الروم عليها. فاستشهد أبو أيوب الأنصاري ودفن قريبا من سورها. ورجع يزيد والعساكر إلى الشام ثم شتى فضالة بن عبيد بأرض الروم سنة إحدى وخمسين وغزا بسر بن أرطأة بالصائفة.

(وفاة المغيرة): توفي المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خمسين بالطاعون، وقيل سنة تسع وأربعين، وقيل سنة إحدى وخمسين، فولى مكانه معاوية زياداً وجمع له المصرين. فسار زياد إليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب. فلما وصل الكوفة خطبهم، فحصبوه على المنبر. فلما نزل جلس على كرسي وأحاط أصحابه بأبواب المسجد يأتونه بالناس يستحلفهم على ذلك. ومن لم يحلف حبسه. فبلغوا ثمانين واتخذ المقصورة من يوم حبس. ثم بلغه عن أوفى بن حسين شيء فطلبه، فهرب ثم أخذه فقتله. وقال له عمارة بن عتبة بن أبي معيط إن عمرو بن الحمق يجتمع إليه شيعة علي، فأرسل إليه زياد ونهاه عن الاجتماع عنده. وقال لا ابيح أحدا حتى يخرج علي، وأكثر سمرة بن جندب اليتامى بالبصرة. يقال قتل ثمانية آلاف فأنكر ذلك عليه زياد اهـ.

(كان عمرو بن العاص) قبل وفاته استعمل عقبة بن عامر بن عَبْد قيس على أفريقية، وهو ابن خالته، انتهى إلى لواتة ومرانة، فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى. ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين غذامس. وفي السنة التي بعدها ودّان وكورا من كور السودان، وأثخن في تلك النواحي، وكان له فيها جهاد وفتوح. ثم ولاه معاوية على أفريقية سنة خمسين، وبعث إليه عشرة آلاف فارس، فدخل أفريقية وانضاف إليه مسلمة البربر، فكبر

جمعه ووضع السيف في أهل البلاد، لأنهم كانوا إذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا، فإذا رجعوا عنهم ارتدوا. فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها

العساكر من البربر، فاختط القيروان وبنى بها المسجد الجامع، وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم، وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع، وكملت في خمس سنين وكان يغزو ويبعث السرايا للإغارة والنهب، ودخل أكثر البربر في الإسلام. واتسعت خطة المسلمين، ورسخ الدين. ثم ولى معاوية على مصر وأفريقية مسلمة بن مخلد الأنصاري، واستعمل على أفريقية مولاه أبا المهاجر، فأساء عزل عقبة واستخف به، فسير ابن مخلد الأنصاري عقبة إلى معاوية، وشكا إليه، فاعتذر له ووعده برده إلى عمله، ثم ولاه يزيد سنة اثنتين وستين. (وذكر) الواقدي أن عقبة ولي أفريقية سنة ست وأربعين، فاختط القيروان، ثم عزله يزيد سنة اثنتين وستين بأبي المهاجر. فحينئذ قبض على عقبة وضيق عليه، فكتب إليه يزيد يبعثه إليه وأعاده والياً على أفريقية، فحبس أبا المهاجر إلى أن قتلهم جميعاً كسلة ملك البرانس من البربر كما نذكر بعد.(كان المغيرة بن شعبة أيام إمارته على الكوفة) كثيرا ماً يتعرض لعلي في مجالسه وخطبه، ويترحم على عثمان ويدعو له. فكان حجر بن عدي إذا سمعه يقول: بلاياكم قد أضل الله ولعن. ثم يقول أنا أشهد أن من تذمون أحق بالفضل، ومن تزكون أحق بالذم. فبعث له المغيرة يقول: يا حجر اتق غضب السلطان وسطوته، فإنها تهلك أمثالك لا يزيده على ذلك.

(ولما كان) آخر أمارة المغيرة قال في بعض أيامه مثل ما كان يقول، فصاح به حجر ثم قال له: مر لنا بأرزاقنا فقد حبستها منا وأصبحت مولعا بذم المؤمنين، وصاح الناس من جوانب المسجد صدق حجر فمر لنا بأرزاقنا، فالذي أنت فيه لا يجدي علينا نفعا. فدخل المغيرة إلى بيته وعذله قومه في جراءة حجر عليه يوهن سلطانه، ويسخط عليه معاوية. فقال لا احب أن آتي بقتل أحد من أهل المصر. وسيأتي بعدي من يصنع معه مثل ذلك فيقتله. ثم توفي المغيرة وولي زياد. فلما قدم خطب الناس وترحم على عثمان ولعن قاتليه. وقال حجر ما كان يقول، فسكت عنه ورجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث، وبلغه أن حجرا يجتمع إليه شيعة علي ويعلنون بلعن معاوية والبراءة منهم، وأنهم حصبوا عمرو بن حريث، فشخص إلى الكوفة حتى دخلها، ثم خطب الناس وحجر جالس يسمع، فتهدده وقال: لست بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر، وأودعه نكالاً لمن بعده. ثم بعث إليه فامتنع من الإجابة، فبعث صاحب الشرطة شداد بن الهيثم الهلالي إليه جماعة، فسبهم

أصحابه. فجمع زياد أهل الكوفة وتهددهم فتبرؤوا فقال: ليدع كل رجل منكم عشيرته الذين عند حجر ففعلوا، حتى إذا لم يبق معه إلا قومه، قال زياد لصاحب الشرطة: انطلق إليه فأت به طوعاً أو كرهاً. فلما جاء يدعوه امتنع عن الإجابة، فحمل عليهم وأشار إليه أبو العمرطة الكندي بأن يلحق بكندة فمنعوه، هذا وزياد على المنبر ينتظر. ثم غشيهم أصحاب زياد وضرب عمرو بن الحمق، فسقط ودخل في دور الأزد، فاختفى وخرج حجر من أبواب كندة، فركب ومعه أبو العمرطة إلى دور قومه، واجتمع إليه الناس ولم يأته من كندة إلا قليل. ثم أرسل زياد وهو على المنبر مذحج وهمدان ليأتوه بحجر، فلما علم أنهم قصدوه تسرب من داره إلى النخع، ونزل على أخي الأشتر. وبلغه أن الشرطة تسأل عنه في النخع. فأتى الأزد واختفى عند ربيعة بن ناجد، وأعياهم طلبه. فدعا حجر محمد بن الأشعث أن يأخذ له أمانا من زياد حتى يبعث به إلى معاوية، فجاء محمد ومعه جرير بن عَبْد الله، وحجر بن يزيد وعبد الله بن الحرث أخو الأشتر، فاستأمنوا له زياداً فأجابهم. ثم أحضروا حجرا فحبسه وطلب أصحابه، فخرج عمرو بن الحمق إلى الموصل ومعه زواعة بن شداد، فاختفى في جبل هناك. ورفع أمرهما إلى عامل الموصل وهو عَبْد الرحمن بن عثمان الثقفي ابن أخت معاوية، ويعرف بابن أم الحكم. فسار إليهما وهرب زواعة، وقبض على عمرو، وكتب إلى معاوية بذلك. فكتب إليه أنه طعن عثمان سبعا بمشاقص كانت معه فأطعنه كذلك فمات في الأولى والثانية. ثم جدّ زياد في طلب أصحاب حجر واتي بقبيصة بن ضبيعة العبسي بأمان فحبسه. وجاء قيس بن عباد الشبلي برجل من قومه من أصحاب حجر، فأحضره زياد وسأله عن علي فأثنى عليه، فضربه وحبسه. وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأشعث. ثم دخل بيته في الكوفة وسعى به إلى الحجاج فقتله. ثم أرسل زياداً إلي عَبْد الله بن خليفة الطائي من أصحاب حجر فتوارى، وجاء الشرط فأخذوه. ونادت أخته الفرار بقومه فخلصوه، فأخذ زياد عدي بن حاتم وهو في المسجد وقال: ائتني بعبد الله وخبره جهرة فقال آتيك بابن عمي تقتله؟ والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فحبسه، فنكر ذلك الناس وكلموه وقالوا تفعل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبير طيىء قال: أخرجه على أن يخرج ابن عمه عني فأطلقه وأمر عدي عَبْد الله أن يلحق بجبل طيىء فلم يزل هنالك حتى مات.وأتي زياد بكريم بن عفيف الخثعمي من أصحاب حجر وغيره

ولما جمع منهم اثني عشر في السجن دعا رؤوس الأرباع. يومئذ وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة، وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة، وكندة وأبو بردة بن أبي موسى على ربع مذحج وأسد. فشهدوا كلهم أن حجراً جمع الجموع، وأظهر شتم معاوية، ودعا إلى حربه. وزعم أن الأمر لا يصلح إلا في الطالبيين. ووثب بالمصر، وأخرج العامل، وأظهر غدر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن النفر الذين معه وهم رؤوس أصحابه على مقدم رأيه. ثم استكثر زياد من الشهود، فشهد إسحق وموسى إبنا طلحة والمنذر بن الزبير وعمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم. وفي الشهود شريح بن الحارث وشريح بن هانىء. ثم استدعى زياد وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب ودفع إليهما حجر بن عدي وأصحابه وهم: الأرقم بن عَبْد الله الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فضيل الشيباني، وقبيضة بن ضبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي، وكرام بن حبان العنزي، وعبد الرحمن بن حسّان العنزي، ومحرز بن شهاب التميمي، وعبد الله بن حوية السعدي. ثم أتبع هؤلاء الإحدى عشر بعتبة بن الأخنس من سعد بن بكر، وسعد بن غوات الهمداني، وأمرهما أن يسيرا إلى معاوية. ثم لحقهما شريح بن هانىء ودفع كتابه إلى معاوية بن وائل ولما انتهوا إلى مرج غدراء قريب دمشق تقدم ابن وائل وكثير إلى معاوية، فقرأ كتاب شريح وفيه: بلغني أن زياداً كتب شهادتي، وأني أشهد على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، فإن شئت فاقبله أو فدعه. فقال معاوية: ما أرى هذا إلا أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج غدراء حتى لحقهم عتبة بن الأخنس، وسعد بن غوات اللذين ألحقهما زياد بهما. وجاء عامر بن الأسود العجيلي إلى معاوية فأخبره بوصولهما، فاستوهب يزيد بن أسد البجلي عاصماً وورقاء إبني عمه. وقد كتب يزيد يزكيهما ويشهد ببراءتهما، فأطلقهما معاوية. وشفع وائل بن حجر في الأرقم، وأبو الأعور السلمي في ابن الأخنس، وحبيب بن سلمة في أخويه فتركهم. وسأله مالك بن هبيرة السكوني

في حجرفرده. فغضب وحبس في بيته. وبعث معاوية هدبة بن فياض القضافي، والحسين بن عَبْد الله الكلابي، وأبا شريف البدري إلى حجر وأصحابه ليقتلوا منهم من أمرهم بقتله، فأتوهم وعرض عليهم البراءة من عليّ، فأبوا وصلوا عامة ليلتهم. ثم قدموا من الغد للقتل. وتوضأ حجر وصلى وقال: لولا أن يظنوا بي الجزع من الموت لاستكثرت منها. اللهم إنا نستعديك على أمشاء أهل الكوفة، يشهدون علينا، وأهل الشام يقتلوننا. ثم مشى إليه هدبة بن فياض بالسيف، فارتعد. فقالوا كيف وأنت زعمت أنك لا تجزع من الموت؟ فابرأ من صاحبك وندعك. فقال وما لي لا أجزع وأنا بين القبر والكفن، والسيف. وإن جزعت من الموت لا أقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة معه وهم: شيريك بن شداد، وصيفي بن فضيل، وقبيصة بن حنيفة، ومحرز بن شهاب، وكرام بن حبان ودفنوهم وصلوا عليهم بعبد الرحمن بن حسان العنزي وجيء بكريم بن الخثعمي إلى معاوية فطلب منه البراءة من عليّ فسكت، واستوهبه سمرة بن عَبْد الله الخثعمي من معاوية فوهبه له، على أن لا يدخل الكوفة، فنزل إلى الموصل. ثم سأل عَبْد الرحمن بن حسان عن عليّ فأثنى خيراً. ثم عن عثمان فقال: أول من فتح باب الظلم، وأغلق باب الحق. فرده إلى زياد ليقتله شر قتلة فدفنه حياً وهو سابع القوم. وأمَّا مالك بن هبيرة السكوني فلما لم يشفعه معاوية في حجر، جمع قومه وسار ليخلصه وأصحابه، فلقي القتلة وسألهم، فقالوا: مات القوم. وسار إلى عدي فتيقن قتلهم فأرسل في أثر القتلة فلم يدركوهم، وأخبروا معاوية فقال: تلك حرارة يجدها في نفسه وكأني بها قد طفئت. ثم أرسل إليه بمائة ألف وقال: خفت أن يعيد القوم حرباً فيكون على المسلمين أعظم من قتل حجر فطابت نفسه. ولما بلغ عائشة خبر حجر وأصحابه، أرسلت عَبْد الرحمن بن الحارث إلى معاوية يشفع فيهم فجاء وقد قتلوا. فقال لمعاوية أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ فقال حيث غاب علي مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت. وأسفت عائشة لقتل حجر وكانت تثني عليه. وقيل في سياقة الحديث غير ذلك. وهو أن زياداً أطال الخطبة في يوم جمعة، فتأخرت الصلاة، فأنكر حجر ونادى بالصلاة فلم يلتفت إليه. وخشي فوت الصلاة فحصبه بكف من الحصباء، وقام إلى

الصلاة فقام الناس معه، فخافهم زياد ونزل فصلى. وكتب إلى معاوية وعظم عليه الأمر، فكتب إليه أن يبعث به موثقاً في الحديد. وبعث من يقبض عليه، فكان ما مر. ثم قبض عليه وحمله إلى معاوية، فلما رآه معاوية أمر بقتله، فصلى ركعتين وأوصى من حضره من قومه لا تفكوا عني قيداً ولا تغسلوا دماً فإني لاق معاوية غداً على الجادة وقتل 1هـ.

وقالت عائشة لمعاوية أين حلمك عن حجر؟ قال: لم يحضرني رشيد 1هـ. وكان زياد قد ولى الربيع بين زياد الحارثي على خراسان سنة إحدى وخمسين، بعد أن هلك حسن بن عمر الغفاري وبعث معه من جند الكوفة والبصرة خمسين ألفاً، فيهم بريدة بن الحصيب، وأبو برزة الأسلمي من الصحابة، وغزا بلخ ففتحها صلحاً، وكانوا انتقضوا بعد صلح الأحمق بن قيس. ثم فتح قهستان عنوة واستلحم من كان بناحيتها من الترك، ولم يفلت منهم إلا قيزل طرخان. وقتله قتيبة بن مسلم في ولايته. فلما بلغ الربيح بن زياد بخراسان قتل حجر سخط لذلك وقال :لا تزال العرب تقتل بعده صبراً. ولو نكروا قتله منعوا أنفسهم من ذلك، لكنهم أقروا فذلوا. ثم دعا بعد صلاة جمعة لأيام من خبره، وقال للناس إني قد مللت الحياة، وإنى داع فأمنوا ثم رفع يديه وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلا وأمّن الناس . ثم خرج فما تواترت ثيابه حتى سقط، فحمل إلى بيته، واستخلف ابنه عَبْد الله ومات من يومه. ثم مات ابنه بعد شهرين، واستخلف خليذ بن عَبْد الله الحنفي وأقره زياد.

(وفاة زياد): ثم مات زياد في رمضان سنة ثلاث وخمسين بطاعون أصابه في يمينه، يقال بدعوة ابن عمر، وذلك أن زياداً كتب إلى معاوية أني ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة فأشغلها بالحجاز، فكتب له عهده بذلك، وخاف أهل الحجاز وأتوا عَبْد الله بن عمريدعو لهم الله أن يكفيهم ذلك. فاستقبل القبلة ودعا معهم وكان من دعائه اللهم اكفناه، ثم كان الطاعون فأصيب فى يمينه، فأشير عليه بقطعها، فاستدعى شريحاً القاضي فاستشاره، فقال إن يكن الأجل فرغ فتلقى الله أجذم

كراهية في لقائه، وإلا لتعيش أقطع، ويعير ولدك. فقال لا أبيت والطاعون في لحاف واحد، واعتزم على قطعها- فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع وتركه، وقيل تركه لإشارة شريح. وعذل الناس شريحاً في ذلك فقال المستشار مؤتمن. ولما حضرته الوفاة قال له ابنه قد هيأت لكفنك ستين ثوباً. فقال يا بني قد دنا لأبيك لباس خيرمن لباسه. ثم مات ودفن بالتوسة قرب الكوفه، وكان يلبس القميص ويرقعه. ولما مات استخلف على الكوفة عَبْد الله بن خالد بن أسيد، وكان خليفته على البصرة عَبْد الله بن عمر بن غيلان، وعزل بعد ذلك عَبْد الله بن خالد عن الكوفة وولى عليها الضحاك بن قيس.

ولاية عبيد الله بن زياد علي خراسان ثم علي البصرة:

ولما قدم إبنه عبيد الله على معاوية، وهو ابن خمس وعشرين سنة قال : من استعمل أبوك على المصرين؟ فأخبره فقال: لو استعملك لاستعملتك. فقال عبيد الله:

أنشدك الله أن يقول لي أحد بعدك، لو استعملك أبوك وعمك استعملتك. فولاه خراسان ووصاه فكان من وصيته: اتق الله ولا تؤثرن على تقواه شيئاً، فإن في تقواه عوضاً وقِ عرضك من أن تدنسه، وإن أعطيت عهداً فأوف به، ولا تتبعن كثيراً بقليل، ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمه، فإذا خرج فلا يردن عليك. وإذا لقيت عدوك فكبّر أكبر من معك، وقاسمهم على كتاب الله، ولا تطعمن أحداً في غير حقه، ولا تؤيسن أحداً من حق هو له. ثم ودعه فسار إلى خراسان أول سنة أربع وخمسين، وقدم إليها أسلم بن زرعة الكلإبي، ثم قدم فقطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل، ففتح رامين، ونسف وسكند. ولقيه الترك فهزمهم، وكان مع ملكهم امرأته خاتون، فأعجلوها عن لبس خفيها، فأصاب المسلمون أحدهما وقوّم بمائتي ألف درهم. وكان عبيد الله ذلك اليوم يحمل عليهم، وهو يطعن حتى يغيب عن أصحابه، ثم يرفع رايته تقطر دماً. وكان هذ الزحف من زحوف خراسان المعدودة، وكانت أربعة منها للأحنف بن قيس بقهستان والمرعات. وزحف لعبد الله بن حازم، قضى فيه جموع فاران. وأقام عبيد الله والياً على خراسان سنتين، وولاه معاوية سنة خمس وخمسين على البصرة. وذلك أن ابن غيلان خطب وهو أمير على البصرة. فحصبه رجل من بني ضبّة فقطع يده فأتاه بنو ضبّة يسألونه الكتاب إلى معاوية بالاعتذار

عنه، وأنه قطع على أمر لم يصح، مخافة أن يعاقبهم معاوية جميعاً. فكتب لهم وسار ابن غيلان إلى معاوية رأس السنة، وأوفاه الضبّيّون بالكتاب، فادعوا أن ابن غيلان قطع صاحبهم ظلماً. فلما قرأ معاوية الكتاب قال: أمَّا القود من عمّالي فلا سبيل إليه، ولكن أدي صاحبكم من بيت المال. وعزل عَبْد الله بن غيلان عن البصرة، واستعمل عليها عبيد الله بن زياد، فسار إليها عبيد الله، وولى على خراسان أسلم بن زرعة الكلابى فلم يغز ولم يفتح.

العهد ليزيد:

ذكر الطبري بسنده قال: قدم المغيرة على معاوية فشكا إليه الضعف، فاستعفاه فأعفاه وأراد أن يولي سعيد بن العاص. وقال أصحاب المغيرة للمغيرة: إن معاوية قلاك، ففال لهم رويداً، ونهض إلى يزيد وعرض له بالبيعة. وقال ذهب أعيان الصحابة وكبراء قُرَيْش ورادوا أسنانهم، وإنما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وسياسةً، وما أدري ما يمنع أمير المؤمنين من العهد لك. فأدى ذلك يزيد إلى أبيه واستدعاه وفاوضه في ذلك. فقال قد رأيت ما كان من الاختلاف وسفك الدماء بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعهد له يكون كهفاً للناس بعدك، فلا تكون فتنة ولا يسفك دم. وأنا أكفيك الكوفة، ويكفيك ابن زياد البصرة. فرد معاوية المغيرة إلى الكوفة وأمره أن يعمل في بيعة يزيد. فقدم الكوفة وذاكر من يرجع إليه من شيعة بني أُمَيَّة فأجابوه، وأوفد منهم جماعة مع ابنه موسى فدعاه إلى عقد البيعة ليزيد. فقال: أو قد رضيتموه؟ قالوا: نعم ! نحن ومن وراءنا. فقال ننظر ما قدمتم له ويقضي الله أمره، والأناة خير من العجلة ثم كتب إلى زياد يستنيره بفكر. وكف عن هدم دار سعيد. وكتب سعيد إلى معاوية يعذله في إدخال الضغينة بين قرابته، ويقول لو لم نكن بني أب واحد لكانت قرابتنا ما جمعنا الله عليه من نصرة الخليفة المظلوم، يجب عليك أن تدعي ذلك، فاعتذر له معاوية وتنصل. وقدم سعيد عليه وسأله عن مروان فأثنى خيراً، فلما كان سنة سبع وخمسين عزل مروان وولى مكانه الوليد بن عتية بن أبي سفيان وقيل سنة ثمان وخمسين.

عزل الضحاك عن الكوفة وولاية ابن أم الحكم ثم النعمان بن بشير:

عزل معاوية الضحاك عن الكوفة سنة ثمان وخمسين، وولى مكانه عَبْد الرحمن بن عَبْد الله بن عثمان الثقفي، وهو ابن ام الحكم اخت معاوية، فخرجت عليه الخوارج الذين كان المفيرة حبسهم في بيعة المستورد بن علقمة، وخرجوا من سجنه بعد موته. فاجتمعوا على حيان بن ظبيان السلميئ، ومعاذ بن جرير الطائي، فسير إليهم عَبْد الرحمن الجيش من الكوفة فقتلوا أجمعين كما يذكر في أخبار الخوارج. ثم إن أهل الكوفة نقلوا عن عَبْد الرحمن سؤ سيرته، فعزله معاوية عنهم. وولّى مكانه النعمان بن بشير. وقال: اوليك خيرا من الكوفة، فولاه مصر، وكان عليها معاوية بن خديج السكوني وسار إلى مصرفاستقبله معاوية على مرحلتين منها، وقال ارجع إلى حالك لا تسر فينا سيرتك في إخواننا أهل الكوفة، فرجع إلى معاوية وأقام معاوية بن خديج فى عمله.

(ولايةعبدالرحمن بن زياد خراسان): وفي سنة تسع وخمسين قدم عَبْد الرحمن بن زياد وافدا على معاوية، فقال يا أمير المؤمنين أمَّا لنا حق؟ قال: بلى، فماذا قال توليني؟ قال بالكوفة النعمان بن بشير من أصحاب رسول الله

(

[illegible]

[illegible]

[illegible]

.□□□□ □□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□□ □□□□

□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□□

□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□ .□□□□□ □□□□ □□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□

□□□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□

□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□ □□□□□ □□□□ □□ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□

□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□□□ .□□□□□□ □□□□□ □□□□□ □□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□□

□□□□ □□□□□ □□ □□□□□□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□ □□ □□□□□ □□

□□□□□ □□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□

□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□□

□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□ .□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □

Chapter 3: The Art of Persuasion

Persuasion is a powerful tool that can be used to influence others in many ways. It can be used to sell products, to change opinions, or to get people to do what you want them to do. There are many different techniques that can be used to persuade others, and the most effective persuaders are those who are able to use a combination of these techniques.

One of the most important things to remember about persuasion is that it is not about manipulation. Manipulation is about getting people to do what you want them to do without their knowledge or consent. Persuasion is about getting people to do what you want them to do because they believe it is in their best interest to do so.

There are many different ways to persuade others, but some of the most common techniques include:

- **Reciprocity:** People are more likely to do something for you if you have done something for them first.
- **Commitment and consistency:** People are more likely to do something if they have already committed to it, even if it is a small commitment.
- **Social proof:** People are more likely to do something if they see that others are doing it.
- **Authority:** People are more likely to do something if they believe that the person asking them to do it is an authority figure.
- **Liking:** People are more likely to do something for someone they like.
- **Scarcity:** People are more likely to do something if they believe that it is in short supply.

The most effective persuaders are those who are able to use a combination of these techniques. They are also able to adapt their persuasion techniques to the specific situation and the person they are trying to persuade.

The Ethics of Persuasion

Persuasion can be a powerful tool for good, but it can also be used for evil. It is important to use persuasion ethically and responsibly. This means that you should never use persuasion to manipulate people or to get them to do something that is not in their best interest.

Here are some guidelines for using persuasion ethically:

1. Be honest and transparent about your intentions.
2. Do not use persuasion to manipulate people.
3. Do not use persuasion to get people to do something that is not in their best interest.
4. Respect the autonomy of others.
5. Be willing to accept "no" for an answer.

By following these guidelines, you can use persuasion to build relationships, to influence others in a positive way, and to achieve your goals.

.

[illegible]:

[illegible]

[illegible]

Lorem ipsum dolor sit amet, consectetur adipiscing elit, sed do eiusmod tempor:

Lorem ipsum dolor sit amet, consectetur adipiscing elit, sed do eiusmod tempor incididunt ut labore et dolore magna aliqua. Ut enim ad minim veniam, quis nostrud exercitation ullamco laboris nisi ut aliquip ex ea commodo consequat. Duis aute irure dolor in reprehenderit in voluptate velit esse cillum dolore eu fugiat nulla pariatur. Excepteur sint occaecat cupidatat non proident, sunt in culpa qui officia deserunt mollit anim id est laborum. Sed ut perspiciatis unde omnis iste natus error sit voluptatem accusantium doloremque laudantium, totam rem aperiam, eaque ipsa quae ab illo inventore veritatis et quasi architecto beatae vitae dicta sunt explicabo. Nemo enim ipsam voluptatem quia voluptas sit aspernatur aut odit aut fugit, sed quia consequuntur magni dolores eos qui ratione voluptatem sequi nesciunt. Neque porro quisquam est, qui dolorem ipsum quia dolor sit amet, consectetur, adipisci velit, sed quia non numquam eius modi tempora incidunt ut labore et dolore magnam aliquam quaerat voluptatem. Ut enim ad minima veniam, quis nostrum exercitationem ullam corporis suscipit laboriosam, nisi ut aliquid ex ea commodi consequatur? Quis autem vel eum iure reprehenderit qui in ea voluptate velit esse quam nihil molestiae consequatur, vel illum qui dolorem eum fugiat quo voluptas nulla pariatur? At vero eos et accusamus et iusto odio dignissimos ducimus qui blanditiis praesentium voluptatum deleniti atque corrupti quos dolores et quas molestias excepturi sint occaecati cupiditate non provident, similique sunt in culpa qui officia deserunt mollitia animi, id est laborum et dolorum fuga. Et harum quidem rerum facilis est et expedita distinctio. Nam libero tempore, cum soluta nobis est eligendi optio cumque nihil impedit quo minus id quod maxime placeat facere possimus, omnis voluptas assumenda est, omnis dolor repellendus. Temporibus autem quibusdam et aut officiis debitis aut rerum necessitatibus saepe eveniet ut et voluptates repudiandae sint et molestiae non recusandae. Itaque earum rerum hic tenetur a sapiente delectus, ut aut reiciendis voluptatibus maiores alias consequatur aut perferendis doloribus asperiores repellat.

□□□ □□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□□□□□
□□□ □□ □□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□ □□□□□ □□□□□□ □□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□
□□□□□ □□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□
□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□ □□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□
□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□.

□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□.
□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□ □□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□
□□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□ □□□□ ! □□□□ :□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□. □□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□
□□□□□ □□□□□□ □□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□□ □□ □□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□
□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□
□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□
□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□ □□ □□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□
□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□
□□□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□
□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□

:□□□□□□□ □□□□ □□ □□□□□□□□□□ □

□ □□□□ □□□□□□ □□□□□ .□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□
□□ □□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□ .□□□□□□□ □□ □□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□ □□
□□□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□□ □□
□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□ □□ □□□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□
:□□ □□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□ □□ □□□□□ □□□□□□ .□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□
□□□□□ □□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□□ .□□□□□□□□□□ □□ □□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□
□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□ □□ □□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□ .□□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□
□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□ □□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□
□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□ .□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□
□□□□□□ □□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□ □□□□
□□ □□□□□ .□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□ □□□□
□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□
□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□ .□□□ □□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□
□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□
□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□ .□□□□□□ □□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□
□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□ □□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□
□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□ .□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□
□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□
□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□
□□□□□□ □□□□□□ □□

( )

[illegible]

:[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]:

[illegible]

ولما صفا الشام لعبد الملك اعتزم على غزو العراق، وأتته الكتب من أشرافهم يدعونه، فاستمهله أصحابه فأبى. وسار نحو العراق وبلغ مصعباً سيره، فأرسل إلى المهلب بن أبي صفرة وهو بفارس في قتال الخوارج يستشيره. وقد كان عزل عمر بن عبيد الله بن معمر عن فارس وحرب الخوارج، وولى مكانه المهلب، وذلك حين استخلف على الكوفه. وجاء خالد بن عبيد الله بن خالد بن اسيد على البصرة مختفياً، واعيد لعبد الملك عند مالك بن مسمع في بكر بن وائل والأزد، وأمد عَبْد الملك بعبيد الله بن زياد بن ظبيان وحاربهم عمربن عبيد الله بن معمر، ثم صالحهم على أن يخرجوا خالدا فأخرجوه.

وجاء مصعب وقد طمع أن يدرك خالداً فوجده قد خرج

، فسخط على ابن معمر وسب أصحابه وضربهم وهدم دورهم وحلقهم، وهدم دار مالك بن مسمع واستباحها. وعزل بن معمرعن فارس وولى المهلب وخرج إلى الكوفة. فلم يزل بها حتى سار للقاء عَبْد الملك، وكان معه الأحنف فتوفي بالكوفة. ولما بعث عن المهلب ليسير معه أهل البصرة إلا أن يكون المهلب على قتال الخوارج رده وقال له المهلب: إن أهل العراق قد كاتبوا عَبْد الملك، وكاتبهم فلا يتعدى. ثم بعث مصعب عن إبراهيم بن الأشتر وكان على الموصل والجزيرة فجعله في مقدمته وسار حتى عسكر في معسكره، وسار عَبْد الملك وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان، وخالد بن عبيد الله بن خالد بن أسيد، فنزلوا قريباً من قرقيسيا. وحضر زفر بن الحارث الكلابي، ثم صالحه. وبعث زفر معه الهذيل ابنه في عسكر وسار معه فنزل بمسكن قريباً من مسكن مصعب، وفر الهذيل بن زفر فلحق بمصعب. وكتب عَبْد الملك إلى أهل العراق وكتبوا إليه وكلهم بشرط أصفهان، وأتى ابن الأشتر بكتاب مختوماً إلى مصعب فقرأه فإذا هو يدعوه إلى نفسه، ويجعل له ولاية العراق، فأخبره مصعب بما فيه، وقال مثل هذا لا يرغب عنه. فقال إبراهيم: ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة. ولقد كتب عَبْد الملك لأصحابك كلهم مثل هذا فأطعني واقتلهم أو احبسهم في أضيق محبس، فأبى عليه مصعب وأضمر أهل العراق الغدر بمصعب. وعذلهم قيس بن الهيثم منهم في طاعة أهل الشام فأعرضوا عنه. ولمّا تدانى العسكران بعث عَبْد الملك إلى مصعب يقول، فقال: تجعل الأمر شورى. فقال فصعب ليس بيننا إلا السيف. فقدم عَبْد الملك أخاه محمداً، وقدم مصعب إبراهيم بن الأشتر وأمده بالجيش فأزال محمداً عن موقفه، وأمده عَبْد الملك بعبيد الله بن يزيد، فاشتد القتال، وقتل من أصحاب مصعب بن عمر الباهلي والد قتيبة، وأمد مصعب إبراهيم بعتاب بن ورقاء، فساء ذلك إبراهيم ونكره. وقال: أوصيته لا يمدني بعتاب وأمثاله. وكان قد بايع لعبد الملك، فجر الهزيمة على إبراهيم وقتله، وحمل رأسه إلى عَبْد الملك. وتقدم أهل الشام، فقاتل مصعب ودعا رؤوس العراق إلى القتال فاعتذروا وتثاقلوا. فدنا محمد بن مروان من مصعب وناداه بالأمان وأشعره بأهل العراق فأعرض عنه، فنادى ابنه عيسى بن مصعب فأذن له أبوه في لقائه. فجاءه وبذل له الأمان وأخبر أباه فقال: أتظنهم يعرفون لك ذلك؟ فإن أحببت فافعل. قال لا يتحدث نساء قُرَيْش

إني رغبت بنفسي عنك. قال: فاذهب إلى عمك بمكة فأخبره بصنيع أهل العراق ودعني، فأنى مقتول فقال لا أخبر قريشاً عنك أبداً، ولكن الحق أنت بالبصرة فإنهم على الطاعة، أو بأمير المؤمنين بمكة. فقال لا يتحدث قُرَيْش إني فررت. ثم قال لعيسى تقدم يا بني أحتسبك، فتقدم في ناس فقتل وقتلوا. وألح عَبْد الملك في قبول أمانه فأبى ودخل سرادقه، فتحفظ ورمى السرادق، وخرج فقاتل، ودعاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فشتمه وحمل عليه، وضربه فجرحه. وخذل أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة أنفس وأثخنته الجراحة، فرجع إليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فقتله، وجاء برأسه إلى عَبْد الملك فأمر له بألف دينار فلم يأخذها. وقال: إنما قتلته بثأر أخي، وكان قطع الطريق فقتله صاحب شرطته، وقيل: إن الذي قتله زائدة بن قدامة الثقفي من أصحاب المختار. وأخذ عبيد الله رأسه، وأمر عَبْد الملك به وبابنه عيسى فدفنا بدار الجاثليق عند نهر رحبيل. وكان ذلك سنة إحدى وسبعين. ثم دعا عَبْد الملك جند العراق إلى البيعة فبايعوه، وسار إلى الكوفة فأقام بالنخيلة أربعين يوماً، وخطب الناس فوعد المحسن، وطلب يحيى بن سعيد عن جعفة وكانوا أخواله، فأحضروه فأمنه. وولى أخاه بشر بن مروان على الكوفة، ومحمد بن نمير على همدان، ويزيد بن ورقاء بن رويم على الري ولم يفى لهم بأصبهان كما شرطوا عليه، وكان عَبْد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القسري، ويحيى بن معتوق الهمداني قد لجآ إلى علي بن عَبْد الله بن عباس، ولجأ فذيل بن زفر بن الحارث، وعمر بن يزيد الحكمي إلى خالد بن يزيد، فأمنهم عَبْد الملك. وصنع عمر بن حريث لعبد الملك طعاماً فأخبره بالخورنق، وأذن للناس عامة فدخلوا، وجاء عمر بن حريث فأجلسه معه على سريره وطعم الناس. ثم طاف مع عمر بن حريث على القصر يسأله عن مساكنه ومعالمه، ولما بلغ عَبْد الله بن حازم مسير مصعب لقتال عَبْد الملك قال : أمعه عمربن معمر قيل: هو على فارس. قال فالمهلب؟ قيل في قتال الخوارج. قال فعباد بن الحسين؟ قيل على البصرة. قال: وأنا بخراسان.

خذيني فجريني جهاراً وأنشدي بلحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره

ثم بعث عَبْد الملك برأس مصعب إلى الكوفة ثم إلى الشام. فنصب بدمشق وأرادوا التطاوف به فمنعت من ذلك زوجة عَبْد الملك عاتكة بنت يزيد بن

معاوية، فغسلته ودفنته. انتهى قتل مصعب إلى المهلب وهو يحارب الأزارقة، فبايع الناس لعبد الملك بن مروان. ولما جاء خبرمصعب لعبد الله بن الزبيرخطب الناس فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعزمن يشاء ويذل من يشاء. ألا وأنه لم يذلّ الله من كان الحق معه، وإن كان الناس عليه طرّاً. وقد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب. فالذي أفرحنا منه أن قتله شهادة، وأمَّا الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة. ثم عَبْد من عبيد الله وعون من أعواني ألا وإن أهل العراق، أهل الغدر والنفاق، سلموه وباعوه بأقل الثمن فإن فو الله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص، والله ما قتل رجل منهم في الجاهلية ولا في الإِسلام. ولا نموت إلا طعنا بالرماح وتحت ظلال السيوف، ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه، ولا يبيد ملكه، فإن تقبل لا آخذها أخذ البطور، وإن تدبر لم أبك عليها بكاء الضرع المهين. أقول قولي هذا وأستغفرالله لي ولكم. ولما بلغ الخبر إلى البصرة تنازع ولايتها حمدان بن ابان، وعبد الله بن أبي بكرة، واستعان حمدان بعبد الله بن الأهتم عليها، وكانت له منزلة عند بني أُمَيَّة، فلما تمهد الأمر بالعراق لعبد الملك بعد مصعب ولى على البصرة خالد بن عَبْد الله بن اشيد، فاستخلف عليها عبيد الله بن أبي بكرة، فقدم على حمدان وعزله حتى جاء خالد ثم عزل خالدا سنة ثلاث وسبعين، وولى مكانه على البصرة أخاه بشراً وجمع له المصرين، وسار بشر إلى البصرة، واستخلف على الكوفه عمر بن حريث. وولى عَبْد الملك على الجزيرة وأرمينية بعد قتل مصعب أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وستين، فغزا الروم ومزقهم بعد أن كان هادن ملك الروم أيام الفتنة على ألف دينار يدفعها إليه في كل يوم.

أمر زفر بن الحارث بقرقيسيا:

قد ذكرنا في وقعة راهط مسير ابن زفر إلى قرقيسيا، واجتماع قيس عليه. وأقام بها يدعولابن الزبير. ولما ولي عَبْد الملك كتب إلى أبان بن عقبة بن أبي معيط، وهو على

حمص بالمسير إلى زفر، فسار وعلى مقدمته عَبْد الله بن رميت العلائي، فعاجله عَبْد الله بالحرب، وقتل من أصحابه نحو ثلثمائة. ثم أقبل إبان فوابزفر، وقيل ابنه وكيع بن زفر، وأوهنه. ثم سار إليه عَبْد الملك إلى قرقيسيا قبل مسيره إلى مصعب، فحاصره ونصب عليه المجانيق وقال: كلب لعبد الملك، لا تخلط معنا القيسية، فإنهم ينهزمون إذا التقينا مع زفر ففعل. واشتد حصارهم، وكان زفر يقاتلهم في كل غداة، وأمر ابنه الهذيل يوماً أن يحمل زفر حتى يضرب فسطاط عَبْد الملك، ففعل وقطع بعض أطنابه. ثم بعث عَبْد الملك أخاه بالأمان لزفر وابنه الهذيل على أنفسهما ومن معهما، وأن لهم ما أحبوا. فأجاب الهذيل وأدخل أباه في ذلك. وقال عَبْد الملك لنا خير من ابن الزبير، فأجاب أن له الخيار في بيعته سنة. وأن ينزل حيث شاء، ولا يعين على ابن الزبير. وبينما الرسل تختلف بينهم إذ قيل لعبد الملك قد قدم من المدينة أربعة أبراج، فترك الصلح وزحف إليهم، فكشفوا أصحابه إلى عسكرهم، ورجع إلى الصلح واستقر بينهم على الأمان ووضع الدماء والأموال. وأن لا يبايع لعبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة التي له في عنقه، وأن يدفع إليه مال نفسه في أصحابه. وتأخر زفر عن لقاء عَبْد الرحمن خوفاً من فعلته بعمربن سعد. فأرسل إليه بقضيب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجاء إليه وأجلسه عَبْد الملك معه على سريره. وزوج ابنه مسلمة الرباب بنت زفر. وسار عَبْد الملك إلى قتال مصعب، فبث زفر ابنه الهذيل معه بعسكر، ولما قارب مصعباً هرب إليه، وقاتل مع ابن الأشتر، حتى إذا اقتتلوا اختفى الهذيل في الكوفة حتى أمنه عَبْد الملك كما مر.

مقتل ابن حازم بخراسان وولاية بكير بن وشاح عليها:

قد تقدّم لنا خلاف بني تميم على ابن حازم بخراسان وأنهم كانوا على ثلاث فرق، وكف فرقتين منهم. وبقي يقاتل الفرقة الثالثة من نيسابور، وعليهم بجير بن ورقاء الصريمي. فلما قتل مصعب بعث عَبْد الملك إلى حازم يدعوه إلى البيعة ويطعمه خراسان سبع سنين، وبعث الكتاب مع رجل من بني عامر بن صعصعة. فقال ابن حازم: لولا الفتنة بين سليم وعامر، ولكن كل كتابك فأكله. وكان بكيربن وشاح التميمي خليفة ابن حازم على مرو، فكتب إليه عَبْد الملك، بعهده على

خراسان ورغبة بالمطامع أن انتهى، فخلع ابن الزبير ودعا إلى عَبْد الملك، وأجابه أهل مرو. وبلإبن حازم فخاف أن يأتيه بكير ويجتمع عليه أهل مرو وأهل نيسابور، فترك بجيرا وارتحل عنه إلى مرو، ويزيد ابنه يترمد. فاتبعه بجير ولحقه قريباً من مرو، واقتتلوا فقتل ابن حازم. طعنه بجير وآخران معه فصرعوه، وقعد أحدهم على صدره فقطع رأسه. وبعث بجير البشير بذلك إلى عَبْد الملك، وترك الرأس، وجاء بكير بن وشاح في أهل مرو، وأراد إنفاذ الرأس إلى عَبْد الملك، وأنه الذي قتل ابن حازم، وأقام في ولاية خراسان. وقيل إن ذلك إنما كان بعد قتل ابن الزبير، وأن عَبْد الملك أنفذ رأسه إلى ابن حازم ودعاه إلى البيعة، فغسل الرأس وكفنه وبعثه إلى ابن الزبير بالمدينة. وكان من شأنه مع الرسول ومع بجير وبكير ما ذكرناه .

(كان)عَبْد الملك لمّا بويع بالشام بعث إلى المدينة عروة بن أنيف في ستة آلاف من أهل الشام وأمره أن يسكن بالعرصة ولا يدخل المدينة، وعامل ابن الزبير يومئذ على المدينة الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر الجمعي، فهرب الحارث وأقام ابن أنيف شهراً يصلي بالناس الجمعة بالمدينة ويعود إلى معسكره. ثم رجع ابن أنيف إلى الشام ورجع الحارث إلى المدينة. وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الدورقي على خيبر وفدك. ثم بعث عَبْد الملك إلى الحجاز عَبْد الملك بن الحارث بن الحكم في أربعة آلاف، فنزل وادي القرى، وبعث سرية إلى سليمان بخيبر، وهرب وأدركوه فقتلوه ومن معه. وأقاموا بخيبر وعليهم ابن القمقام. وذكر لعبد الملك ذلك فاغتم وقال: قتلوا رجلاً صالحاً بغيرذنب . ثم عزل ابن الزبير الحارث بن حاطب عن المدينة، وولّى مكانه جابر بن الأسود بن عوف الزهري، فبعث جابر إلى خيبر أبا بكر بن أبي قيس في ستمائة، فانهزم ابن القمقام وأصحابه أمامه وقتلوا صبرا. ثم بعث عَبْد الملك طارق بن عمر مولى عثمان، وأمره أن ينزل بين أيلة ووادي القرى، ويعمل كما يعمل عمال ابن الزبير من الانتشار، وليسدّ خللأ، إن ظهر له بالحجاز، فبعث طارق خيلا إلى أبي بكير بخيبر واقتتلوا، فاصيب أبو بكير في مائتين من أصحابه، وكتب ابن الزبير إلى القباع وهو

عامله على البصرة يستمده ألفي فارس إلى المدينة. فبعثهم القباع وأمر ابن الزبير جابر بن الأسود أن يسيرهم إلى قتال طارق ففعل، ولقيهم طارق فهزمهم وقتل مقدمهم. وقتل من أصحابه خلقا وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم، ورجع إلى وادي القرى. ثم عزل ابن الزبير جابرا عن المدينة، واستعمل طلحة بن عَبْد الله بن عوف، وهو طلحة النداء وذلك سنة سبعين. فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق. ولما قتل عَبْد الملك مصعباً ودخل الكوفة، وبعث منها الحجاج بن يوسف الثقفي في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال ابن الزبير، وكتب معه بالأمان لابن الزبير ومن معه إن أطاعوا. فسار في جمادى سنة اثنتين وسبعين، فلم يتعرض للمدينة، ونزل الطائف. وكان يبعث الخيل إلى غرفة، ويلقاهم هناك خيل ابن الزبير فينهزمون دائماً، وتعود خيل الحجاج بالظفر. ثم كتب الحجاج إلى عَبْد الملك يخبره بضعف ابن الزبير وتفرق أصحابه، ويستأذنه في دخول الحرم لحصار ابن الزبير ويستمده، فكتب عَبْد الملك إلى طارق يأمره باللحاق بالحجاج، فقدم المدينة في ذي القعدة سنة إثنتين وسبعين، وأخرج عنها طلحة النداء عامل بن الزبير، وولى مكانه رجلاً من أهل الشام، وسار إلى الحجاج بمكة في خمسة آلاف. ولما قدم الحجّاج مكة أحرم بحجه ونزل بئر ميمون، وحج بالناس ولم يطف ولا سعى، وحصر ابن الزبير عن عرفة فنحر بدنة بمكة ولم يمنع الحاج من الطواف والسعي. ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبي قبيس، ورمى به الكعبة وكان ابن عمرقد حج تلك السنة، فبعث إلى الحجاج بالكف عن المنجنيق لأجل الطائفين ففعل، ونادى منادي الحجّاج عند الإفاضة انصرفوا فإنّا نعود بالحجارة على ابن الزبير، ورمى بالمنجنيق على الكعبة، وألحت الصواعق عليهم في يومين، وقتلت من أصحاب الشام رجالاً فذعروا. فقال لهم الحجاج لا شك فهذه صواعق تهامة وأنّ الفتح قد حضر فأبشروا.

ثم أصابت الصواعق من أصحاب ابن الزبير فسري عن أهل الشام، فكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي، فلا ينصرف ولم يزل القتال بينهم، وغلت الأسعار وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح ابن الزبير فرسه وقسم لحمها في أصحابه. وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم، والمدُّ من الذرة بعشرين وبيوت ابن الزبير مملوءة قمحاً وشعيراً وذرة وتمراً، ولا ينفق منها إلا ما يمسك الرمق، يقوي بها نفوس أصحابه. ثم أجهدهم الحصار، وبعث الحجاج إلى أصحاب ابن الزبير بالأمان، فخرج إليه منهم نحو عشرة آلاف، وافترق الناس عنه.

وكان ممن فارقه ابناه حمزة وحبيب، وأقام ابنه الزبير حتى قتل معه. وحرّض الناس الحجاج وقال: قد ترون قلّة أصحاب ابن الزبير وما هم فيه من الجهد والضيق، فتقدّموا واملؤوا ما بين الحجون والأبواء. فدخل ابن الزبير على امه أسماء وقال يا امَّه: قد خذلني الناس حتى ولدي والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت أنت أعلم بنفسك، إن كنت على حق وتدعو إليه فامض له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك وقد بلغت بها علمين بين بني أُمَيَّة. وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن قتل معك. وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت، فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين فقال يا امّه أخاف أن يمثلوا بي ويصلبوني. فقالت يا بني الشاة إذا ذبحت لا تتألم بالسلخ، فامض على بصيرتك واستعن بالله. فقبل رأسها وقال هذا رأي، والذي خرجت به، داعياً إلى يومي هذا، وما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة وما أخرجني إلا الغضب لله، وأن تستحلَّ حرماته، ولكن أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتيني بصيرة. وإني يا امه في يومي هذا مقتول، فلا يشتد حزنك وسلمي لأمر الله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولا عمد بفاحشة ولم يجر ولم يغدر ولم يظلم ولم يقر على الظلم، ولم يكن آثر عندي من رضا الله تعالى. اللهم لا اقر هذا تزكية لنفسي، لكن تعزية لأمي حتى تسلو عني. فقالت إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً إن تقدمتني احتسبتك، وإن ظفرت سررت بظفرك. ثم قالت: اخرج حتى أنظر ما يصير أمرك جزاك الله خيراً. قال فلا تدعي الدعاء لي، فدعت له وودّعها وودّعته، ولما عانقته للوداع وقعت يدها على الدرع فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد ! فقال ما لبستها إلا لأشد منك. فقالت إنه لا يشد مني فنزعها وقالت له البس ثيابك مشمرة. ثم خرج فحمل على أهل الشام حملة منكرة، فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه، وأشار عليه بعضهم بالفرار فقال: بئس الشيخ إذن أنا في الإِسلام إذا واقعت قوما فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم. وامتلأت أبواب المسجد بأهل الشام، والحجاج وطارق بناحية الأبطح إلى المروة، وابن الزبير يحمل على هؤلاء وعلى هؤلاء وينادي أبا صَفْوان لعبد الله بن صَفْوان بن أُمَيَّة بن خلف، فيجيبه من جانب المعترك. ولما رأى الحجاج إحجام الناس عن ابن الزبير، غضب وترجل وحمل إلى صاحب الراية بين يديه، فتقدم ابن الزبير

إليهم وكشفهم عنه، ورجع فصلى ركعتين عند المقام، وحملوا على صاحب الراية فقلتوه عند باب بني شيبة وأخذوا الراية.ثم قاتلهم وابن مطيع معه حتى قتل، ويقال أصابته جراحة فمات منها بعد أيام، ويقال إنه قال لأصحابه يوم قتل: يا آل الزبيرأوطبتم لي نفساً عن أنفسكم كأهل بيتٍ من العرب اصطلمنا في الله، فلا يرعكم وقع السيوف فإن ألم الدواء في الجرح أشد من ألم وقعها، صونوا سيوفكم بما تصونون وجوهكم، وغضوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل امرىء قرنه ولا تسألوا عني. ومن كان سائلاً فإني في الرعيل الأول. ثم حمل حتى بلغ الحجون، فأصابته حجارة في وجهه فأرغش لها ودمي وجهه. ثم قاتل قتالاً شديداً وقتل في جمادى الاخرة سنة ثلاث وسبعين. وحمل رأسه إلى الحجاج فسجد، وكبر أهل الشام، وثار الحجاج وطارق حتى وقفا عليه، وبعث الحجاج برأسه ورأس عَبْد الله بن صَفْوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى عَبْد الملك. وصلب جثته منكّسةً على ثنية الحجون اليمنى. وبعثت إليه أسماء في دفنه فأبى، وكتب إليه عَبْد الملك يلومه على ذلك، فخلّى بينها وبينه. ولما قتل عَبْد الله ركب أخوه عروة وسبق الحجاج إلى عَبْد الملك، فرحب به وأجلسه على سريره، وجرى ذكرعبد الله فقال عروة: إنه كان، فقال عَبْد الملك وما فعل؟ قال قتل فخّر ساجداً. ثم أخبره عروة أنّ الحجاج صلبه فاستوهب جثته لأمّه. فقال نعم: وكتب إلى الحجاج ينكر عليه صلبه، فبعث بجثته إلى امّه وصلى عليه عروة ودفنه وماتت امه بعده قريباً. ولما فرغ الحجاج من ابن الزبير دخل إلى مكة فبايعه أهلها لعبد الملك، وأمر بكنس المسجد من الحجارة والدم، وسار إلى المدينة وكانت من عمله فأقام بها شهرين، وأساء إلى أهلها وقال: أنتم قتلة عثمان. وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمة. منهم جابر بن عَبْد الله، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد. ثم عاد إلى مكة ونقلت عنه في ذم المدينة أقوال قبيحة أمره فيها إلى الله، وقيل إن ولاية الحجاج المدينة وما دخل منها كانت سنة أربع وسبعين، وأن عَبْد الملك عزل عنها طارقاً واستعمله، ثم هدم الحجاج بناء الكعبة الذي بناه ابن الزبير، وأخرج الحجر منه وأعاده إلى البناء الذي أقره عليه النبي [illegible] [illegible]. [illegible].

Lorem ipsum dolor sit amet:

Lorem ipsum dolor sit amet, consectetur adipiscing elit, sed do eiusmod tempor incididunt ut labore et dolore magna aliqua. Ut enim ad minim veniam, quis nostrud exercitation ullamco laboris nisi ut aliquip ex ea commodo consequat. Duis aute irure dolor in reprehenderit in voluptate velit esse cillum dolore eu fugiat nulla pariatur. Excepteur sint occaecat cupidatat non proident, sunt in culpa qui officia deserunt mollit anim id est laborum. Sed ut perspiciatis unde omnis iste natus error sit voluptatem accusantium doloremque laudantium, totam rem aperiam, eaque ipsa quae ab illo inventore veritatis et quasi architecto beatae vitae dicta sunt explicabo. Nemo enim ipsam voluptatem quia voluptas sit aspernatur aut odit aut fugit, sed quia consequuntur magni dolores eos qui ratione voluptatem sequi nesciunt. Neque porro quisquam est, qui dolorem ipsum quia dolor sit amet, consectetur, adipisci velit, sed quia non numquam eius modi tempora incidunt ut labore et dolore magnam aliquam quaerat voluptatem.

Ut enim ad minim veniam:

Lorem ipsum dolor sit amet, consectetur adipiscing elit, sed do eiusmod tempor incididunt ut labore et dolore magna aliqua. Ut enim ad minim veniam, quis nostrud exercitation ullamco laboris nisi ut aliquip ex ea commodo consequat. Duis aute irure dolor in reprehenderit in voluptate velit esse cillum dolore eu fugiat nulla pariatur. Excepteur sint occaecat cupidatat non proident, sunt in culpa qui officia deserunt mollit anim id est laborum.

□□□

الحجّاج ، وعطف الحجّاج عليه فقارب ابن الجارود أن يظفر. ثم أصابه سهم غَرِبُ فوقع ميتاً . ونادى منادي الحجاج بأمان الناس إلا الهذيل وابن الحكيم ، وأمر أن لا يتبع المنهزمين ، ولحق ابن ضبيان بعمارة فهلك هنالك . وبعث الحجاج برأس ابن الجارود ورأس ثمانية عشر من أصحابه إلى الملك ، ونصبت ليراها الخوارج ليتاسوا من الاختلاف ، وحبس الحجاج عبيد بن كعب ، ومحمد بن عمير لامتناعهما من الإتيان إليه ، وحبس ابن القبعثرى لتحريضه عليه ، فأطلقه عبد الملك وكان فيمن قتل مع ابن الجارود عبد الله بن أنس بن مالك . فقال الحجاج لا أرى أنساً يعين علي . ودخل البصرة وأخذ ماله . وجاءه أنس فأساء عليه وأفحش في شتمه ، وكتب أنس إلى عبد الملك يشكوه . فكتب عبد الملك إلى الحجاج يشتمه ويغلظ عليه في التهديد على ما فعل بأنس ، وأن تجيء إلى منزله وتتنصل إليه ، وإلا نبعث من يضرب ظهرك ويهتك سترك . قالوا : وجعل الحجاج في قراءته يتغير ويرتعد وجبينه يرشح عرقاً . ثم جاء إلى أنس بن مالك واعتذر إليه ، وفي عقب هذه الواقعة خرج الزنج بفرات البصرة، وقد كانوا خرجوا قبل ذلك أيام مصعب ولم يكونوا بالكثير، وأفسدوا الثمار والزروع ، ثم جمع لهم خالد بن عبد الله فافترقوا قبل أن ينال منهم ، وقتل بعضهم وصلبه . فلما كانت هذه الواقعة قدّموا عليهم رجلاً منهم اسمه رياح ويلقب بشير زنجي أي أسد الزنج وأفسدوا . فلما فرغ الحجّاج من ابن الجارود أمر زياد ابن عمر صاحب الشرطة أن يبعث إليهم مَن يقاتلهم ، وبعث ابنه حفصاً في جيش فقتلوه وانهزم أصحابه فبعث جيشاً فهزم الزنج وأبادهم .

مقتل ابن مخنف وحرب الخوارج :

كان المُهَلبُ وعبد الرحمن بن مُخْنِفَ واقفين للخوارج بِرَامَهُرْمُز فلما أمدّهم الحجّاج بالعساكر من الكوفة والبصرة ، تاجر الخوارج من رامهرمز إلى كازِرُونَ وأتبعهم العساكر حتى نزلوا بهم ، وخندق المهلب على نفسه ، وقال ابن مخنف وأصحابه خدمنا سيوفنا، فبيتهم الخوارج وأصابوا الغِرةَ في ابن مخنف ، فقاتل هو وأصحابه حتى قتلوا، هكذا حديث أهل البصرة . وأما أهل الكوفة فذكروا أنهم لما ناهضوا

الخوارج اشتدّ القتال بينهم ، ومال الخوارج على المهلب فاضطروه إلى معسكره ، وأمدّه عبد الرحمن بالخيل والرجال . ولما رأى الخوارج مدده تركوا مَنْ يشغل المهلب ، وقصدوا عبد الرحمن فقاتلوه وانكشفوا عنه ، وصبر في سبعين من قومه فثابوا إلى عتاب بن ورقاء، وقد أمره الحجّاج أن يسمع للمهلّب فثقل ذلك عليه ، فلم يحسن بينهما العِشْرة، وكان يتراءف في الكلام ، وربما أغلظ له المهلب . فأرسل عتاب إلى الحجّاج يسأله القعود، وكان حرب الخوارج وشبيب قد اتسع عليه ، فصادفا منه ذلك مرقعا، واستقدمه وأمره أن يترك العسكر مع المهلب ، فولّى المهلب عليهم ابنه حبيباً وأقام يقاتلهم بنيسابور نحواً من سنة، وتحرّكت الخوارج على الحجّاج من لدن سنة ست وسبعين إلى سنة ثمان وشغل بحربهم ، وأول مَن خرج منهم صالح بن سَرْحٍ من بني تميم . بعث إليه العساكر فقتل ، فولّوا عليهم شبيباً واتّبعه كُتَيِّرُ من بني شيبان ، وبعث إليهم الحجّاج العساكر مع الحابى بن عُمَيْرَة، ثم مع سفيان الخَثْعَمِيّ ، ثم انحدر ابن سعيد فهزموها، وأقبل شبيب إلى الكوفة، فحاربهم الحجّاج وامتنع ، ثم سرح عليه العساكر وبعث في أثرهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزموهم . ثم بعث عتاب بن ورقاء ، وزهرة بن حَوْبَةَ مَدَدا لهم ، فانهزموا وقتل عتاب وزهرة، ثم قتل شبيب واختلف الخوارج بينهم ، وقتل منهم جماعة كما يذكر ذلك كله في أخبارهم .

ضرب السكّة الإسلامية

كان عبد الملك كتب في صدر كتابه إلى الروم : قل هو الله أحد، وذكر النبي مع التاريخ ، فنكر ذلك ملك الروم وقال : اتركوه وإلا ذكرنا نبيّكم في دنانيرنا بما تكرهونه . فعظم ذلك عليه واستشار الناس ، فأشار عليه خالد بن يزيد بضرب السِكّةِ وترك دنانيرهم ففعل : ثم نقش الحجاج فيها قل هو الله أحد. فكره الناس ذلك لأنه قد يمسّها غير الطاهر، ثم بالغ في تخليص الذهب والفضة من الغش . وزاد ابن هُبَيْرَةَ أيام يزيد بن عبد الملك عليه . ثم زاد خالد القِسْرِيّ عليهم في ذلك أيام هشام . ثم أفرط يوسف بن عمر من بعدهم في المبالغة وامتحان العيار، وضرب عليه فكانت الهُبَيْرِيَّةُ والخالِديةُ واليوسفيَّةُ أجود نقود بني أميّة . ثم أمر المنصور أن لا يقبل في الخراج غيرها وسمِّيت النقود الأولى مكروهة إما لعدم جودتها أو لما نقش عليها الحجّاج

وكرهه . وكانت دراهم العجم مختلفة بالصغر والكبر، فكان منها مثقال وزن عشرين قيراطاً ، واثني عشر، وعشرة قراريط وهي أنصاف المثاقيل . فجمعوا قراريط الأنصاف الثلاثة فكانت اثنين وأربعين ، فجعلوا ثلثها وهو اثنا عشر قيراطاً وزن الدرهم العربي ، فكانت كل عشرة دراهم تزن سبعة مثاقيل . وقيل إن مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبد الله ، والأصح أن عبد الملك أول مَن ضرب السكّة في الإسلام.

مقتل بكير بن وشاح بخراسان :

قد تقدّم لنا عزل بكير عن خُراسان ، وولاية أميّة بن عُبَيْدِ الله بن خالد بن أسَيد سنة أربع وسبعين ، وأن بكيراً أقام في سلطان أميّة بخراسان ، وكان يكرمه ويدعوه لولاية ما شاء من أعمال خراسان فلا يجيب ، وأنه ولاه طَخَارَسْتان ، وتجهّز لها فيه بُجَيْرُ بن ورقاء فمنعه ، ثم أمره بالتجهّز لغزو ما وراء النهر، فحذّره منه بجير، فردّه فغضب بكير. ثم تجهّز أميّة لغزو غارا وموسى بن عبد الله بن حازم لِتَرْمُذ، واستخلف ابنه على خراسان . فلما أراد قطع النهر قال لبكير ارجع إلى مرو اكفنيها فقد وليتكها، وقم بأمر ابن حازم فإني أخشى أن لا يضبطها . فانتخب مَن وثق به من أصحابه ورجع ، وأشار عليه صاحبه عَتَّابُ بان يحرق السفن ويرجع إلى مرو فيخلع أميّة، ووافقه الأحنف بن عبد الله العَنْبَرِي على ذلك . فقال لهم بكير: أخشى على مَن معي . قالوا نأتيك من أهل مرو بمَن تشاء، قال يهلك المسلمون . قال نادِ في الناس برفع الخراج فيكونون معك . قال فيهلك أمية وأصحابه . قال لهم عِدَدٌ وعَددٌ يقاتلون عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين ، فاحرق بكير السفن ورجع إلى مرو، فخلع أميّة وحبس ابنه . وبلغ الخبر أميّة فصالح أهل الشام بُخَارى، ورجع وأمر باتخاذ السفن وعبر، وجاءه موسى بن عبد الله بن حازم من مدداً له ، وبعث شماس بن ورقاء في ثمانمائة في مقدمته فبيّته بكير هزمه ، فبعث مكانه ثابت بن عطية فهزمه . ثم التقى أميّة وبكير فاقتتلوا أياماً، ثم انهزم بكير إلى مرو، وحاصره أميّة أياماً حتى سأل الصلح على ولاية ما شاء من خراسان ، وأن يقضي عنه أربعمائة ألف دينه ، ويصل أصحابه

ولا يقبل فيه سعاية بجَيْر، فتمَ الصلح ودخل أمية مدينة مرو، وأعاد بكيراً إلى ما كان عليه من الكرامة وأعطى عتاب العدابي عشرين ألفاً، وعزل بُجَيْر عن شرطته بعطا بن أبي السائب . وقيل إن بكيراً لم يصحب أميّة إلى النهر، وإنما استخلفه على مرو، فلما عبر أميّة النهر خلع وفعل ما فعل . ثم إن بكيراً سعى بأميّة بان بكيراً دعاه إلى الخلاف ، وشهد عليه جماعة من أصحابه ، وأن معه ابني أخيه . فقبض عليه أميّة وقتله ، وقتل معه ابني أخيه ، وذلك سنة سبع وسبعين . ثم عبر النهر لغزو بلخ ، فحصره الترك حتى جهد هو وعسكره وأشرفوا على الهلاك ثم نجوا ورجعوا إلى مرو.

قتل بجير بن زياد:

ولما قُتِلَ بَكِيرُ بسعاية بُجَيْرُ بن وَرْقَاءَ تعاقد بنو سَعْدِ بن عَوْفٍ من تميم وهم عشيرته على الطلب بدمه ، وخرج فتى منهم من البادية اسمه شَمَرْدَل ، وقَدِمَ خراسان ووقف يوماً على بُجَيْرٍ فطعنه فصرعه ولم يمت ، وقتل شمردل وجاء مكانه صَعْصَعَةُ بن حَرْب العوفي ، ومض إلى سِجِسْتان وجاور قرابة بجير مدّة . وانتسب إلى خنَفِيَّةَ ثم قال لهم إن لي بخراسان ميراثاً فاكتبوا إلى بجير يعينني ، فكتبوا له وجاء إليه وأخبره بنسبه وميراثه ، وأقام عنده شهرا يحضر باب المُهَلَّب وقد أنس به وأمن غائلته ، وجاء صعصعة يوماً وهو عند المهلب في قميص ورداء، ودنا ليكلّمه فطعنه ومات من الغد . وقال صعصعة فمنعته مُقاعِسُ وقالوا أخذا بثأره ، فحمل المهلب دم صعصعة وجعل دم بجير ببكير. وقيل إن المهلب بعثه إلى بجير فقتله والله أعلم وكان ذلك سنة إحدى وثمانين

ولاية الحجّاج على خراسان وسجستان :

وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أميّة بن عبد الله عن خراسان وسجستان ، وضمهما إلى الحجّاج بن يوسف. فبعث المهلب بن أبي صُفْرَةَ على خراسان ، وقد كان . فرغ من حرب الأزارقة، فاستدعاه وأجلسه معه على السرير، وأحسن إلى أهل البلاد من أصحابه وزادهم ، وبعث عُبَيْدَ الله بن أبي بكرة على سِجِسْتان . فأما المهلب فقدم ابنه حبيباً إلى خراسان فلم يعرض لأميّة ولا لعماله حتى قَدِمَ أبوه المهلب بعد سنة من

ولايته ، وسار في خمسة آلاف وقطع النهر الغربي وما وراء النهر، وعلى مقدمته أبو الأدهم الرُقَانيّ في ثلاثة آلاف فنزل على كَشٍّ وجَاءَه ابن عمر الخَثْن يستنجده على ابن عمّه ، فبعث معه ابنه يزيد. فبيّت ابن العمّ عساكر الختن وقتل الملك ، وجاءه صَر يريد قلعتهم حتى صالحوا بما رضي ، ورجع ، وبعث المهلب ابنه حبيباً في أربعة آلاف ، ووافى صاحب بُخارى في أربعين ألفاً . وكبس بعضهم جنده في قرية فقتلهم وأحرقها ورجع إلى أبيه . وأقام المهلب يحاصر كشّ سنتين حتى صالحوه على فِدْيَةٍ . وأما عبد الله بن أبي بكرة فأقام بسجستان ورَتْبِيل على صلحه يؤدّي الخراج . ثم امتنع فأمر الحجّاج ابن أبي بكرة فغزوه واستباحوا بلاده ، فسار في أهل المصرين وعلى أهل الكوفة شُرَيْحُ بن هانىء من أصحاب علي ، فدخل بلاد رتبيل وتوغل فيها حتى كانوا على ثمانية عشر فرسخاً من مدينتهم ، وأثخن واستباح وخرّب القرى والحصون . ثم أخذ الترك عليهم القرى والشِعاب حتى ظنوا الهَلَكَةَ، فصالحهم عبيد الله على الخروج من أرضهم ، على أن يعطيهم سبعمائة ألف درهم. ونكر ذلك عليه شريح وأبى إلا القتال ، وحرّض الناس ورجع . وقتل حين قتل بناس من أصحابه ونجا الباقون ، وخرجوا من بلاد رتبيل ، ولقيهم الناس بالأطعمة فكانوا يموتون إذا شبعوا . فجعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلاً حتى استمروا وكتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في غزو بلاد رتبيل فأذن له ، فجهز عشرين ألف فارس من الكوفة وعشرين ألفاً من البصرة، واختار أهل الغنى والشجاعة ، وأزاح عِلَلهم وأنفق فيهم ألفي ألف سوي أعْطِيَاتِهم ، وأخذهم بالخيل الرائعة والسلاح الكامل . وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشْعَثِ ، وكان يبغضه ويقول أريد قتله . ويخبر الشعبي بذلك عبد الرحمن فيقول أنا ازيله عن سلطانه ، فلما بعثه على ذلك الجيش تنصح أخوه إسماعيل للحجّاج وقال لا تبعثه فإني أخشى خلافه . فقال هو أهيب لي من أن يخالف أمري . وسار عبد الرحمن في الجيش وقَدِمَ سجستان واستنفرهم ، وحذر العقوبة لمن يتعدّى . وساروا جميعاَ إلى بلاد رتبيل ، وبذل الخراج فلم يقبل منه ودخل بلاده فحواها شيئا فشيئاً . وبعث عمّاله عليها ورجع المصالح بالنواحي والأرصاد على العقاب والشعاب ، وامتلأت أيدي الناس من الغنائم ، ومنع من التوغل في البلاد إلى قابل ، وقد قيل في بعث عبد الرحمن بن الأشعث غير هذا . وهو أن الحجّاج كان قد أنزل هَمْيَانَ بن عَدِيَ السِدَي مسلحة بكرمان أن احتاج إليه عامل السند وسِجِسْتَان

فمضى هِمْيَانُ فبعث الحجّاج عبد الرحمن بن الأشعث فهزمه ، وقام بموضعه . ثم مات عبد الله بن أبي بكرة فولاّه الحجاج مكانه ، وجهّزإليه هذا الجيش ، وكان يسمى جيش الطواويس لحُسْن زيّهم.

أخبار ابن الأشعث ومقتله :

ولما وصل كتاب ابن الأشعث إلى الحجّاج كتب إليه يوبخه على القعود عن التوغل ويامره بالمضيّ لما أمره به من هدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم . وأعاد عليه الكتاب بذلك ثانياً وثالثاً وقال له إن مضيت وإلا فأخوك إسحق أمير الناس . فجمع عبد الرحمن الناس وردّ الرأي عليهم وقال : قد كنا عزمنا جميعا على ترك التوغل في بلد العدوّ، ورأينا رأيا وكتبت بذلك إلى الحجاج ، وهذا كتابه يستعجزني ويستضعفني ويأمرني بالتوغّل بكم وأنا رجل منكم ، فثار الناس وقالوا لا نسمع ولا نطيع الحجّاج . وقال أبو الطفَيْل عامِر بن واثِلَةَ الكِنَانيّ : اخلعوا عدو الله الحجّاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن ، فتنادى الناس من كل جانب : فعلنا فعلنا . وقال عبد المؤمن بن شيث بن رَبْعي : انصرفوا إلى عدوّ الله الحجّاج فانفوه عن بلادكم ، ووثب الناس إلى عبد الرحمن على خلع الحجّاج ونفيه من العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك . وصالح عبد الرحمن رتبيل على أنه إن ظهر فلا خراج على رتبيلِ ما بقي من الدهر، وإن هزم منعه ، بمَن يريده . وجعل عبد الرحمن على سَبْتٍ عِيَاض بن هَمْيَانَ الشيْبَانيّ ، وعلى رومِجَ عبد الله بن عامر التميمي ، وعلى كَرْمانَ حَرْثَةَ بن عمر التميمي . ثم سار إلى العراق في جموعه وأعشى هَمْدَانَ بين يديه يجري بمدحه وذمَ الحجّاج ، وعلى مقدمته عَطِيةُ بن عُمَيْر العَيْرَني . ولما بلغ فارس بدا للناس في أمر عبد الملك وقالوا إذا خلعنا الحجّاج فقد خلعناه ، فخلعه الناس وبايعوا عبد الرحمن على السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والمخلّين وخلعهم .

وكتب الحجّاج إلى عبد الملك يخبره ويستمدّه ، وكتب المهلب إلى الحجّاج بان لا يعترض أهل العراق حتى يسقطوا إلى أهليهم ، فنكر كتابه واتهمه ، وجند عبد الملك الجند إلى الحجَاج فساروا إليه متتابعين ، وسار الحجاج من البصرة فنزل تَسْتُر، وبعث مقدمة خيلٍ فهزمهم أصحاب عبد الرحمن بعد قتال شديد، وقتل منهم جمعاً كثيراً وذلك في أضحى إِحدى وثمانين ، وأجفل الحجّاج إلى البصرة، ثم تأخر عنها إلى الغاوية

وراجع كتاب المهلب فعلم نصيحته ، ودخل عبد الرحمن البصرة فبايعه أهلها وسائر نواحيها، لأن الحجاج كان اشتد على الناس في الخراج ، وأمر مَن دخل الأمصار أن يرجع إلى القرى، يستوفي الجزية، فنكر ذلك الناس ، وجعل أهل القرى يبكون منه ، فلما قَدِمَ عبد الرحمن بايعوه على حرب الحجّاج وخلع عبد الملك .

ثم اشتد القتال بينهم في المحرّم سنة اثنتين وثمانين ، وتزاحفوا على حرب الحجاج وخلع عبد الملك . وانهزم أهل العراق وقصدوا الكوفة، وانهزم منهم خلق كثير. وفشا القتل في القرى، فقتل منهم عُقْبةَ بن الغافر الأزدي في جماعة استلحموا معه ، وقتل الحجّاج بعد الهزيمة منهم عشرة آلاف ، وكان هذا اليوم يسمى يوم الراوِيةِ . واجتمع مَن بقي بالبصرة على عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وبايعوه ، فقاتل بهم الحجّاج خمس ليالٍ ثم لحق بابن الأشعث بالكوفة ربيعة، طائفة من أهل البصرة . ولما جاء عبد الرحمن الكوفة وخليفة الحجّاج عليها عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله الحَضْرَمي ، وثب به مَطَرَ بن ناجِيَة من ابني تميم مع أهل الكوفة، فاستولى على القصر وأخرجه . فلما وصل ابن الأشعث لقيه أهل الكوفة احتف به هَمْدان . وجاء إلى القصر فمنعه مطر فصد الناس القصر وأخذوه ، فحبسه عبد الرحمن وملك الكوفة . ثم إن الحجّاج استعمل على البصرة الحَكَم بن أيوب الثَقَفِيّ ، ورجع إلى الكوفة فنزل دوير ِفِيرَةَ ، ونزل عبد الرحمن دير الجَماجمِ ، واجتمع إلى كل واحد أمداده ، وخندق على نفسه . وبعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمداً في جند كثيف ، وأمرهماا ن يعرضا على أهل العراق عزل الحجّاج ويجري عليهم أعطياتهم كاهل الشام ، وينزل عبد الرحمن إلى أيّ بلد شاء عاملا لعبد الملك . فوجم الحجّاج لذلك وكتب إلى عبد الملك أن هذا مما يزيدهم جراءة، وذكره بقضية عثمان وسعيد بن العاص ، فأبى عبد الملك من رأيه ، وعرض عبد الله ومحمد بن مروان ما جاء به عبد الملك ، وتشاور أهل العراق بينهم ، وأشار عليهم عبد الرحمن بقبول ذلك ، وأن العزّة لهم على عبد الملك لا تزول ، فتواثبوا من كل جانب منكرين لذلك ومجددين الخلع

وتقدّمهم في ذلك عبد الله بن دُوَابٍ السَلَميّ وعُمَيْرُ بن تِيحانَ ، ثم برزوا للقتال . وجعل الحجّاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخْمِي ، وعلى الخيل سفيان بن الأبْرَدِ الكلبي ، وعلى الرجالة عبد الله بن حبيب الحَكَمي . وجعل عبد الرحمن على ميمنته الحجّاج بن

حارثة الخَثْعَميّ ، وعلى ميسرته الأبْرَدَ بن قُرّةَ التميمي ، وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعلى رجالته محمد بن سعد بن أبي وقَّاص ، وعلى مجنبته عبد الله بن رَزْم الحُرْشي ، وعلى القرى جَبَلَةُ بن زَحْر بن قَيْسٍ الجُعْفِيّ وفيهم سعيد بن جُبَيْرٍ وعامر الشعبي وأبو البُخْتُري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى . ثم أقاموا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون بقية سنتهم ، وكتيبة القرى معروفة بالصبر يحملون عليها فلا تنتقص . فعبّى الحجّاج ثلاث كتائب مع الجرَّاحِ بن عبد الله الحَكَمِي ، وحملوا على القرى ثلاث حملات ، وجبلة يحرض القرى ويبيّتهم ، والشعبي وسعيد بن جبير كذلك . ثم حملوا على الكتائب ففرَّقوها وأزالوها عن مكانها، وتأخر جبلة عنهم ليكون لهم فئة يرجعون إليه ، وأبصره الوليد بن نجيب الكلبيّ ، فقصده في جماعة من أهل الشام وقتله وجيءَ برأسه إلى الحجّاج ، وقدموا عليهم مكانه وظهر القتل في القرى . ثم اقتتلوا بعد ذلك ما يزيد على مائة يوم كثر فيها القتلى والمبارزة . ثم اقتتلوا يوماً في منتصف جمادى الآخرة، وحمل سفيان بن الأبرد في ميمنة الحجّاج على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الأبرد بن قرّة من غير قتال ، فتقوَّضت صفوف الميمنة وركبهم أصحاب الحجّاج ، ثم انهزم عبد الرحمن وأصحابه . ومض الحجّاج إلى الكوفة ومحمد بن مروان إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام . وأخذ الحجاج الناس على أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر، وقتل مَن أبى ذلك . ودعا بِكُمَيْلِ بن زياد صاحب عليّ فقتله لاقتصاصه ثم أقام بالكوفة شهراً وأنزل أهل الشام في بيوت أهل الكوفة، ولحق ابن الأشعث بالبصرة فاجتمع إليه جموع المنهزمين ، ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سُمْرَةَ، ولحق به محمد بن سعد بن أبي وقاص بالمدائن ، وسار نحو الحجاج ومعه بَسْطَام بن مَصْقَلَةَ بن هُبَيْرَةَ الشيْبَاني ، كان قَدِمَ عليه قبل الهزيمة من الرقي ، وكان انتقض بها ثم غلب عليها، ولحق بعبد الرحمن فكان معه . وبايع عبد الرحمن خلق كثير على الموت ، ونزل مسكن وخندق عليه وعلى أصحابه ، والحجّاج قبالتهم ، وقاتلهم خالد بن جرير بن عبد الله . وكان قَدِمَ من خراسان في بعث الكوفة، فقاتلهم خمسة عشر يوماً من شعبان أشد قتال ، وقتل زياد بن غنيم القيني . وكان عليٌ صالَحَ الحجّاج فهدّ منهم ثم أبى بكر القتال . وحمل بَسْطَامُ بن مَصْقَلَةَ هُبَيْرَةَ في أربعة آلاف من فرسان الكوفة والبصرة، كسروا جفون

سيوفهم وحملوا على أهل الشام فكشفوهم مرارا وأحاط بهم الرّماة ولحقوا فقتلوا . وحمل عبد الملك بن المهلب على أصحاب عبد الرحمن فكشفوهم. ثم حمل أصحاب الحجاج من كل جانب ، فأنهزم عبد الرحمن وأصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه ، وأبو البُخْتُرِي الطافي وسلَّى بن الأشعث نحو سجستان . ويقال إن بعض الأعراب جاء إلى الحجّاج فدلّه على طريق من وراء معسكر ابن الأشعث ، فبعث معه أربعة آلاف جاؤُوا من ورائه ، وأصبح الحجّاج فقاتله واستطرد له حتى نهب معسكره . وأقبلت السريّة من الليل إلى معسكر ابن الأشعث ، وكان الغرقى منهم أكثر من القتلى ، وجاء الحجاج إلى المعسكر فقتل مَن وجد فيه ، وكان عدّة القتلى أربعة آلاف : منهم عبد الله بن شداد بن الهادي ، وبسطام بن مَصْقَلَةَ وعمر بن ربيعة الرقاشي ، وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم . ولما سار ابن الأشعث إلى سجستان أتبعه الحجّاج بالعساكر، وعليهم عمارة بن تميم اللخمي ، ومعهم محمد بن الحجّاج فأدركوه بالسوس فقاتلوه ، وانهزم إلى سابور واجتمع إليه الأكراد وقاتلوا العساكر قتالاً شديداً فهزم ، وخرج عمارة ولحق ابن الأشعث بكرمان ، فلقيه عامله بها وهيا له النزول فنزل . ثم رحل إلى زَرْنَج فمنعه عامله من الدخول ، فحاصرها أياما ثم سار إلى بَسْتَ وعليها من قبله عَيَّاضُ بن هَمْيَان بن هشام السلوِيّ الشيْبَاني ، ثم استغفله فأوثقه . وكان رَتْبيلُ ملك الترك قد سار ليستقبله ، ونزل على بَسْت وتهدّد عِياضاً فأطلقه ، وحمل رتبيل إلى بلاده وأنزله عنده . واجتمع المنهزمون فاتفقوا على قصد خراسان لينموا بعشائرهم ، وقصدوا للصلاة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث ، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث يستقدمونه ، فقَدِمَ عليهم وثناهم عن قصد خراسان مخافة من سطوة يزيد بن المهلـب ، وأن يجتمع أهل الشام وأهل خراسان ، فأبوا وقالوا بل يكثر بها تابِعنا . فسار معهم إلى هَرَاةَ، فهرب عنهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سُمْرَةَ فخشي الانتقاض وقال : إنما أتيتكم وأمركم جميعاً . وأنا لآن منصرف إلى صاحبي الذي جئت من عنده يعني رتبيل . ورجع عنهم في قليل . وبقي معظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس بسجستان فجمع بابن الأشعث وسار إلى خراسان في عشرين ألفاً، ونزل هراة ولقوا الرقاد فقتلوه .

وبعث إليه يزيد بن المهلب بالرحلة من البلاد، فقال إنما نزلنا لنستريح ونرتحل . ثم أخذ في الجباية، وسار نحوه يزيد بن المهلب والتقوا فافترق أصحاب عبد الرحمن عنه ، وصبرت معه طائفة

ثم انهزموا، وأمر يزيد بالكف عنهم وغنم ما في عسكرهم ، وأسر جماعة منهم ، فيهم محمد بن سعد بن أبي وقّاص وعمر بن موسى بن عبد الله بن معمر، وعباس بن الأسود بن عوف والهَلْقَام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة، وفيروز وأبو لبلج سولى عبيد الله بن معمر،وسوار بن مروان وعبد الله بن طلحة الطلحات وعبد الله بن فُضَالَةَ الزهراني الأزدي . ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسِّنْدِ وأتى ابن سمرَةَ إلى مرو، وانصرف يزيد إلى مرو. وبعث بالأسرى إلى الحجّاج مع سَيْدَةَ بن نَجْدَةَ، وقال له أخوه حبيب : ألا تبعث عبد الرحمن بن طلحة؟ فإن له عندنا يَدَيْن ، وقد ودى عن المهلب أبو طلحة مائة ألف ، فتركه وترك عبد الله بن فضالة لأنه من الأزد. وبعث الباقين وقَدِموا عليه بمكان واسط قبل بنائها، فدعا بفيروز وقال : ما أخرجك مع هؤلاء وليس بينك وبينهم نسب . قال فتنة عمّت الناس ! قال اكتب أموالك ، فكتب ألفي ألف وأكثر. فقال للحجّاج وأنا آمن على دمي ، قال لا والله لتؤدِّيّنها ثم أقتلك . قال لا تجمع مالي ودمي وأمر به فنُحِّي . ثم أحضر محمد بن سعد بن أبي وقّاص فوبّخه طويلاً ثم أمر به فقتل ، ثم دعا بعمر بن موسى فوبخه ولاطفه في العذر فلم يقبل ثم أمر به فقتل . ثم أحضر الهَلْقَامَ بن نعيم فوبخه. وقال : ابن الأشعث طلب الممالك فما الذي طلبتَ أنت ؟ قال أن توليني العراق مكانك فأمر به فقتل . ثم أحضر عبد الله بن عامر فعذله في عبد الله بن زيد بن المهلب لأنه أطلق قومه من الأسر وقاد نحوه مطرا، فاطرق الحجّاج ثم قال : ما أنت وذاك ؟ ثم أمر به فقتل ، فلم يزل في نفسه من يزيد حتى عزله . ثم أمر بفيروز فعذب ، ولما أحسّ بالموت قال أظهروني للناس ليردّوا عليَ ودائعي ، فلما ظهر نادى مَن كان لي عنده شي فهو في حِل فأمر به فقتل ، وأمر بقتل عمر بن فهر الكندي وكان شريفاً، وأحضر أعشى همدان واستنشده قصيدته بين الأثلج وبين قيس ، وفيها تحريض ابن الأشعث وأصحابه فقال : ليست هذه وإنما التي بين الأثلج وبين قيس بارق على رويّ الدال ، فأنشده فلما بلغ قوله بخٍ بخٍ للوالدة وللمولود. قال والله لا تبخبخ بعدها أبداً وقتل .

وسأل الحجّاج عن الشَعْبي فقال له يزيد بن أبي مسلم أنه لحق بالريّ ، فكتب إلى قُتَيْبَةَ بن مسلم وهو عامله على الريّ بإرسال الشعبي .فَقَدِمَ على الحجّاج سنة ثلاث وثمانين ، وكان ابن أبي مسلم له صديقاً فأشار عليه بحُسْن الاعتذارِ. فلما دخل على الحجّاج سلّم عليه بالإمرة وقال : وايم الله لا أقول إلا الحق

قد والله حرَّضنا وجهدنا فما كنا أقوياء فَجَرَة، ولا أتقياء برَرَة، وقد نصرك الله وظفرت فإن سطوت فبذنوبنا وإن عفوت فبحلمك والحجة لك علينا . فقال الحجّاج هذا والله أحبّ إليّ ممن يقول ما شهدت ولا فعلت وسيفه يقطر من دمائنا . ثم أمنه وانصرف . ولما ظفر الحجّاج بابن الأشعث وهزمه ، لحق كثير من المنهزمين بعمر بن الصلت ، وقد كان غلب على الري في تلك الفتنة . فلما اجتمعوا أرادوا أن يحظوا عند الحجّاج ويمحوا عن أنفسهم ذنب الجماجم ، فأشاروا على عمر بخلع الحجّاج فامتنع ، فدشوا عليه أباه فأجاب . ولما سار قتيبة إلى الريّ خرجوا مع عمر لقتاله ثم غدروا به فانهزم ، ولحق بطبرستان وأقره الأصْبَهْبَذ وأحسن إليه ، وأرادوا الوثوب على الأصبهبذ فشاور أباه وقال : قد علمت الأعاجم أني أشرف منه ، فمنعه أبوه ودخل قتيبة الري ، وكتب الحجّاج إلى الأصبهبذ أن يبعث بهم أو برؤُوسهم ففعل ذلك . ولما انصرف عبد الرحمن بن الأشعث من هراةَ إلى رتْبيل قال له علقمة بن عمر الأزدي لا أدخل معك دار الحرب لأن رتبيل إن دخل إليه الحجاج فيك وفي أصحابك

قتلكم أو أسلمكم إليه ، ونحن خمسمائة وقد تبايعنا على أن نتحصن بمدينة حتى نأمن أو نموت كراماً، وقدِمَ عليهم مودود البصريِ ، وزحف إليهم عمارة بن تميم اللخمي وحاصرهم حتى استأمنوا فخرجوا إليه وقلاهم ، وتتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في عبد الرحمن يرهبه ويرغبه . وكان عبيد بن سميع التميمي من أصحاب ابن الأشعث ، وكان رسوله إلى رتبيل أوّلاً، فانس به رتبيل وزحف عليه وأغرى القاسم بن الأشعث أخاه عبد الرحمن بقتله ، فخافه وزيّن لرتبيل أخذ العهد من الحجّاج ، وإسلام عبد الرحمن إليه على أن يكف عن أرضه سبع سنين ، فأجابه رتبيل وخرج إلى عمارة سراً . وكتب عمارة إلى الحجّاج بذلك ، فأجاب وكتب له بالكفّ عنه عشر سنين ، وبعث إليه رتبيل برأس عبد الرحمن ، وقيل مات بالسلّ فقطع رأسه وبعث به ، وقيل أرسله مقيدا مع ثلاثين من أهل بيته إلى عمارة، فالقى عبد الرحمن نفسه من سطح القصر فمات ، فبعث عمارة برأسه وذلك سنة أربع أو خمس وثمانين .

قد كنّا قدِمنا حصار المهلب مَدِينَةَ كش من وراء النهر فأقام عليها سنتين ، وكان استخلف على خراسان ابنه المغيرة.فمات سنة اثنتين وثمانين ، فجزع عليه وبعث ابنه يزيد إلى مرو ومكنه في سبعين فارساً، ولقيهم في مفازة نَسني جمع من الترك يقاربون الخمسمائة، فقاتلوهم قتالاً شديداً يطلبون ما في أيديهم والمغيرة يمتنع حتى أعطى بعض

أصحابه لبعضهم شيئاً من المتاع والسلاح ، ولحقوا بهم ولحق يزيد بمرو. ثم سال أهل كش من المهلب الصلح على مال يعطونه ، فاسترهن منهم رهناً من أبنائهم في ذلك ، وانفتل المهلّب وخلف حريث بن قطنة مولى خُزَاعة ليأخذ الفدية ويرد الرهن ، فلما صار ببلّخ كتب إليه لا تخل الرهن وإن قبضت الفدية حتى تقدم أرض بلخ لئلا يغيروا عليك. فاقرأ صاحب كشَ كتابه وقال : إن عجّلت أعطيتك الرهن ، وأقول له جاء الكتاب بعد إعطائه . فعجّل صاحب كش بالفدية وأخذ الرهن ، وعرض له الترك كما عرضوا ليزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى، ففدوهم فرداً فرداً وأطلقهم . ولما وصل إلى المهلب ضربه ثلاثين سوطاً عقوبة على مخالفة كتابه في الرهن. فحلف حريث أن ابن قطنة ليقتلن المهلب ، وخاف ثابتاً إن كان ذلك المسير إليه . فبعث إليه المهلب أخاه ثابت بن قطنة يلاطفه فأبى وحلف ليقتلنَ المهلب ، وخاف ثابت إن كان ذلك أن يقتلوا جميعاً فأشار عليه باللحاق بموسى بن عبد الله بن حازم ، فلحق به في ثلاثمائة من صحابهما . ثم هلك المهلب واستخلف ابنه يزيد، وأوصى ابنه حبيباً بالصلاة وأوصى ولده جميعا بالاجتماع والإلفة، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله وصِلة الرحم فإنها تنسىءُ في الأجل وتثري المال وتكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة فإنها تعقب النار والذلّة والقلّة ، وعليكم بالطاعة والجماعة، ولتكن فِعالكم أفضل من مقالكم . واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فإن الرجل تزل قدمه فينعش ويزلّ لسانه فيهلك ، واعرفوا لمَن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له . وآثروا الجود على البخل وأحبّوا العرف واصنعوا المعروف ، فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت فكيف بالصنيعة عنده . وعليكم في الحرب بالتؤدة والمكيدة فإنها أنفع من الشجاعة، وإذا كان اللقاءُ نزل القضاءُ، وإن أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل أتى الأمر من وجهه فظفر، لان لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن وتعلّم السُنن وآداب الصالحين ، وإياكم وكثرة الكلام في مجالسكم . ثم مات وذلك سنة اثنتين وثمانين .

ويقال إنه لما حثّهم على الإلفة والاجتماع أحضر سهاما محزومة فقال أتكسرون هذه مجتمعة قالوا لا . قال فتكسرونها متفرقة؟ قالوا نعم . قال فهكذا الجماعة . واستولى يزيد على خراسان بعد أبيه ، وكتب له الحجّاج بالعهد عليها . ثم وضع العيون على بَيْزَكَ حتى بلغه خروجه عن قلعته ، فسار إليها وحاصرها ففتحها وغنم ما كان فيها من الأموال والذخائر، وكانت

من أحصن القلاع . وكان بيزك إذا أشرف عليها يسجد لها . ولما فتحها كتب إلى الحجّاج بالفتح ، وكان كاتبه يَعْمُرُ العَدْواني حليف هُذَيْل فكتب : إنّا لقينا العدو فمنحنا الله أكنافهم ، فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤوس الجبال ومهامه الأودية وأهضام الغيطان وأفناءِ الأنهار. فقال الحجّاج مَن يكتب ليزيد؟ قيل يحيى بن يعمر: فكتب بحمله على البريد . فلما جاءه قال أين ولدت ؟ قال بالأهواز. قال فمن أين هذه الفصاحة؟ قال حفظت من أولاد أبي وكان فصيحاً . قال يلحن عنبسة بن سعيد؟ قال نعم كثيراً ! قال ففلان ؟ قال نعم ! قال فإنا ؟ قال تلحن خفيفا، تجعل أن موضع إنَّ وإنَّ موضع أن . قال أجلتك ثلاثاً وإن وجدتك ، بأرض العراق قتلتك فرجع إلى خراسان .

بناء الحجاج مدينة واسط :

كان الحجاج يُنْزِل أهل الشام على أهل الكوفة، فضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان سنة ثلاث وثمانين ، وعسكروا قريباً من الكوفة حتى يستتمّوا ، ورجع منهم ، ذات ليلة فتى حديث عهد بعرس بابنة عمّه ، فطرق بيته ودق الباب فلم يفتح له إلا بعد هنيهة، وإذا سكران من أهل الشام فشكت إليه ابنة عمّه مراودته إياها، فقال لها ائذني له فأذنت له ، وجاء فقتله الفتى وخرج إلى العسكر. وقال ابعثي إلى الشاميين وارفعي إليهم صاحبهم ، فأحضروها عند الحجاج فأخبر لَه . فقال صدقت ! وقال للشاميين لا قود له ولا عقل فإنه قتيل الله إلى النار. ثم نادى مناديه لا ينزل أحد على أحد، وبعث الروّاد فارتادوا له مكان واسط ، ووجد هناك راهباً ينظّف بقبعته من النجاسات فقال : ما هذه ؟ قال نجد في كتبنا أنه ينشأ ههنا مسجد للعبادة . فاختطَّ الحجّاج مدينة واسط هنالك وبنى المسجد في تلك البقعة .

عزل يزيد عن خراسان :

يقال إن الحجّاج وفد إلى عبد الملك ومرّ في طريقه براهب قيل له إن عنده علماً من الحدثان فقال : هل تجدون في كتابكم ما أنتم فيه ؟ قال نعم : فقال مُسَمى أو موصوفا؟ قال موصوفا. قال : فما تجدون صفة ملكنا؟ قال صفته كذا . قال ثم مَن ؟ قال آخر اسمه الوليد . قال ثم مَن ؟ قال آخر اسمه ثَقَفِي . قال فمَن تجد

بعدي ؟ قال رجل يدعى يزيد . قال أتعرف صفته ؟ قال لا أعرف صفته إلا أن يغدر غدرة . فوقع في نفس الحجّاج أنه يزيد بن المهلب ، ووجل منه ، وقَدِمَ على عبد الملك . ثم عاد إلى خراسان وكتب إلى عبد الملك يدعى يزيدَ وآل المهلب وأنهم زُبَيْرِية، فكتب إليه أن وفاءهم لآل الزبير يدعوهم إلى الوفاء لي . فكتب إليه الحجّاج يخوّفه غدرهم وما يقول الراهب . فكتب إليه عبد الملك أنك أكثرت في يزيد فانظر مَن تولي مكانه . فسمّى له قتيبة بن مسلم ، فكتب له أن يولّيه . وكره الحجّاج أن يكاتبه بالعزل ، فاستقدمه وأمره أن يستخلف أخاه المفضل ، واستشار يزيد حُصَيْن بن المُنْذِر الرَقَاشِي فقال له : أقم واعتل ، وكاتِبْ عبد الملك فإنه حسن الرأي فيك . نحن أهل بيت بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره الخلاف ، وأخذ يتجهّز

وأبطأ . فكتب الحجّاج إلى المفضل بولاية خراسان واستلحاق يزيد . فقال إنه لا يضرّك بعدي ، وإنما ولّاك مخافة أن أمتنع . وخرج يزيد في ربيع سنة خمس وثمانين . ثم عزل المفضل لتسعة أشهر من ولايته ، وولّى قتيبة بن مسلم . وقيل سبب عزل اليزيد أن الحجّاج أذلّ العراق كلهم إلآ آل المهلب ، وكان يستقدم يزيد فيعتل عليه بالعدا والحروب . وقيل كتب إليه أن يغزو خوارزم فاعتذر إليه بانها قليلة السلَبَ شديدة الكَلَف . ثم استقدمه بعد ذلك فقال إلى أن أغزو خوارزم . فكتب الحجّاج لا تغزها، فغزاها وأصاب سُبيا وصالحه أهلها، وانفتل في الشتاء . وأصاب الناس البرد فتدثّروا بلباس الأسرى فبقوا عرايا ، وقتلهم المفضل . ولما ولّي المفضل خراسان غزا باذغِيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه ، ثم غزا شومان فغنم وقسم ما أصابه .

مقتل موسى بن حازم :

كان عبد الله بن حازم لما قتل بني تميم بخراسان ، وافترقوا عليه فخرج إلى نيسابور، وخاف بنو تميم على ثقله بمرو، فقال لابنه موسى : اقطع نهر بلخ حتى نلتجىء إلى بعض الملوك أو إلى حِصْنٍ نقيم فيه . فسار موسى عن مرو في مائتين وعشرين فارساً، واجتمع إليه شبه الأربعمائة، وقوم من بني سليم ، وأتى قُمْ فقاتله أهلها فظفر بهم ، وأصاب منهم مالاً، وقطع النهر. وسأل صاحب بخارى أن يأوي إليه فأبى وخافه ، وبعث إليه بصلة فسار عنه ، وعرض نفسه على ملوك الترك فأبوا خشية منه ، وأتى سمرقند فأذن

له ملكها طرخونُ ملك الصغْدِ في المقام فأقام ، وبلغه قتل أبيه عبد الله بن حازم ولم يزل مقيما بسَمَرْقَنْدَ . وبارز بعض أصحابه يوماً بعض الصغْدِ فقتله ، فأخرجه طرخون عنه فأتى كِشَّ فنزلها، ولم يطق صاحبها مدافعته ، واستجاش عليه بطرخون . فخرج موسى للقائه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس ، فاقتتلوا إلى الليل ، ودسّ موسى بعض أصحابه إلى طرخون يخوّفه عاقبة أمره ، وأن كل مَن يأتي خراسان يطالبه بدمه . فقال يرتحل عن كش ؟ قال له نعم ! وكف حتى ارتحل وأتى ترمذ، فنزل إلى جانب حصن بها مشرف على النهر، وأبى ملك تِرْمُذَ من تمليكه الحصن ، فأقام هنالك ولاطف الملك ، وتودَّد له وصار يتصيد معه . وصنع له الملك يوماً طعاما وأحضره في مائة من أصحابه ليأكلوا، فلما طعموا امتنعوا من

الذهاب . وقال موسى : هذا الحصن إمّا بيتي أو قبري ، وقاتلهم فقتل منهم عدّة، واستولى على الحصن وأخرج ملك تِرْمُذَ ولم يتعرّض له ولا لأصحابه . ولحق به جمع من أصحاب أبيه فقوي بهم ، وكان يغير على ما حوله .

ولما وَليَ أميّة خراسان سار لغزوه ، وخالفه بكير كما تقدّم . ثم بعث إليه بعد صلحه مع بكير الجيوش مع رجل من خُزَاعَةَ وحاصروه . وعاود ملك ترمذ استنصاره بالترك في جمع كثير، ونزلوا عليه من جانب آخر. وكان يقاتل العرب أوّل النهار والترك آخره ثلاثة أشهر. ثم بيّت الترك ليلة فهزمهم وحوى عسكرهم بما فيه من المال والسلاح ، ولم يهلك من أصحابه إلا ستة عشر رجلاً . وأصبح الخزاعي والعرب وقد خافوا مثلها . وغدا عمر بن خالد بن حصين الكلابي على موسى بن حازم وكان صاحبه فقال إنا لا نظفر إلا بمكيدة فاضربني وخلني ، فضربه خمسين سوطا، فلحق بالخزاعي وقال : إن ابن حازم اتهمني بعصبيتكم ، وإني عين لكم فأمنه الخزاعي وأقام عنده . ودخل عليه يوماً وهو خالٍ فقال له لا ينبغي أن تكون بغير سلاح . فرفع طرف فراشه وأراه سيفا منتضى تحته فضربه عمر حتى قتله ولحق بموسى . وتفرق الجيش واستأمن بعضهم موسى .

ولما وليَ المُهَلَّب على خراسان قال لبنيه إياكم وموسى! فإنه إن مات جاء على خراسان أمير من قَيْسٍ . ثم لحق به حُرَيْث وثابت ابنا قَطْنَةَ الخُزاعي فكانا معه . ولما ولي يزيد أخذ أموالهما وحرمهما ، وقتل أخاهما للأم الحَارث بن مُعَقَّد ، فسار ثابت إلى طرخون صريخاً، وكان محببا إلى الترك فغضب له طرخون . وجمع له نيزك وملك الصعد وأهل بخارى والصاغان ، فقَدِموا مع ثابت إلى موسى وقد اجتمع عليه قَلُّ عبد الرحمن بن عباس من هَرَاةَ وقلُّ ابن

الأشعث من العراق ومن كابل . فكان معه نحو ثمانية آلاف ، فقال له ثابتَ وحريث : سر بنا في هذا العسكر مع الترك ، فنخرج يزيد من خراسان ونوليك ، فحذّر موسى أن يغلباه على خراسان ، ونصحه بعض أصحابه في ذلك فقال لهما إن أخرجنا يزيد قَدِمَ عامل المدينة عبد الملك ، ولكنّا نخرج عمّال يزيد من وراء النهر ويكون لنا ، فأخرجوهم وانصرف طرخون والترك. وقوي أمر العرب بترمذ وجبوا الأموال ، واستبد ثابت وحريث على موسى وأغراه أصحابه بهما فهمَّ بقتلهما، واذا بجموع العجم قد خرجت إليهم من الهَيَاطِلة والتّبتِ والتُّرْكِ ، فخرج موسى فيمن معه للقتال . ووقف ملك الترك على ما قيل في عشرة آلاف ،

فحمل عليهم حريث بن قسطْنَةَ حتى أزالهم عن موضعهم ، وأصيب بسهم في وجهه وتحاجزوا . ثم بيّتهم موسى فانهزموا، وقتل من الترك خلق كثير، ومات منهم قليل . ومات حريث بعد يومين ، ورجع موسى بالظفر والغنيمة . وقال له أصحابه قد كفينا أمر حريث فاكفنا أمر ثابت فأبى . وبلغ ثابت بعض ما كانوا يخوضون فيه ، ودسّ محمد بن عبد الله الخزاعي عليهم على أنه من سبي الباسيان ولا يحسن العربية، فاتصل بموسى وكان ينقل إلى ثابت خبر أصحابه فقال لهم ليلة قد أكثرتم عليَ فعلى أيّ وجه تقتلونه ولا أغدر به ؟ فقال له أخوه نوح إذا أتاك غداً عدلنا به إلى بعض الدور فقتلناه قبل أن يصل إليك . فقال والله إنه لهلاككم ! وجاء الغلام إلى ثابت بالخبر فخرج من ليلته في عشرين فارساً ، وأصبحوا ففقدوه وفقدوا الغلام فعلموا أنه كان عيناً .

ونزل ثابت بحشور واجتمع إليه خلق كثير من العرب والعجمِ . وسار إليه موسى وقاتله ، فحصر ثابتاً بالمدينة . وأتاه طرخون مدد فرجع موسى إلى تِرْمُذ . ثم اجتمع ثابت وطرخون وأهل بخارى ونسف وأهل كش في ثمانين ألفاً . فحاصروا موسى بترمذ حتى جهد أصحابه . وقال يزيد بن هُذَيْل والله لأقتلنّ ثابتاً أو أموت ، فاستأمن إليه وحذّره بعض أصحابه منه ، فاخذ ابنيه قُدَامَةَ والضحّاك رهنا وأقام يزيد يتلّمس غِزةَ ثابت . ومات ابن الزياد والقصير الخزاعي ، فخرج إليه ثابت يعزّيه وهو بغير سلاح ، فضربه يزيد على رأسه وهرب . وأخذ طرخون قدامة والضحّاك ابني يزيد فقتلهما . وهلك ثابت لسبعة أيام وقام مكانه من أصحابه ظهير وضعف أمرهم ، وبيتهم موسى ليلاً في

ثلثمائة، فبعث إليه طرخون كفّ أصحابك فإنّا نرحل الغداة . فرجع وارتحل طرخون والعجم جميعاً. ولما وَليَ المفضل خراسان بعث عثمان بن مسعود في جيش إلى موسى بن حازم ، وكتب إلى مُدْرِكَ بن المُهَلَّب في بلخ بالمسير معه ، فعبر النهر في خمسة عشر ألفاً، وكتب إلى رتبيل وإلى طرخون أن يكونوا مع عثمان ، فحاصروا موسى بن حازم فضيّقوا عليه شهرين ، وقد خندق عثمان على معسكره حذر البيات . فقال موسى لأصحابه اخرجوا بنا مستميتين واقصدوا الترك ، فخرجوا وخلف النضْرُ ابن أخيه سليمان في المدينة . وقال له : إن أنا قتلت فملك المدينة لمدرك بن المُهلَب دون عثمان ، وجعل ثلث أصحابه بإزاء عثمان وقال لا تقاتلوه إلا إن قاتلكم . وقصد طرخون وأصحابه وصدقوهم القتال ؟ فانهزم طرخون وأخذوا وحجزت الترك والصغد بينهم وبين الحصن ، فقاتلهم فعقروا فرسه وأردفه

مولى له ، فبصر به عثمان حين وثب فعرفه فقصده ، وعقروا به الفرس وقتلوه ، وقتل خلق كثير من العرب . وتولى قتل موسى واصِل العَنْبَرِيّ ونادى منادي عثمان بكف القتل وبالأسر، وبعث ، النضر بن سليمان إلى مدرك بن المهلب فسلّم إليه مدينة تِرْمُذ ، وسلمها مدرك إلى عثمان . وكتب المفضل إلى الحجّاج بقتل موسى فلم يسرّه لأنه من قيس ، وكان قتل موسى سنة خمس وثمانين لخمس عشرة سنة من تغلبه على تِرْمذ.

البيعة للوليد بالعهد :

وكان عبد الملك يروم خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد والبيعة لابنه الوليد وكان قبيصة ينهاه عن ذلك ويقول : لعلّ الموت يأتيه وتدفع العَار عن نفسك ، وجاءه رَوْحُ بن زنباغ ليلة وكان عنده عظيماً ففاوضه في ذلك فقال : لو فَعلته ما انتطح فيه عنزان . فقال نصلح إن شاء الله ! وأقام روح عنده ، ودخل عليهما قُبَيْصَة بن ذؤَيب من جنح

الليل وهما نائمان وكان لا يحجب عنه وإليه الخاتم والسكّة ، فأخبره بموت عبد العزيز أخيه. فقال روح كفانا الله ما نريد. ثم ضمّ مصر إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وولّاه عليها . ويقال : إن الحجّاج كتب إلى عبد الملك يزيّن له بيعة الوليد، فكتب إلى عبد العزيز إني رأيت أن يصير الأمر إلى ابن أخيك فكتب له أن تجعَل الأمر له من بيعَة، فكتب له إني أرى في أبي بكر ما ترى في الوليد. فكتب له عبد الملك أن يحمل خراج مصر، فكتب إليه عبد العزيز إني وإياك يا أمير المؤمنين قد أشرفنا على عمر أهل بيتنا، ولا ندري أيّنا يأتيه الموت فلا تفسد عليَّ بقية عمري ، فرق له عبد الملك وتركه . ولما بلغ الخبر بموت عبد العَزيز عبد الملك أمر الناس بالبَيعة لابنه الوليد وسليمان ، وكتب بالبيعَة لهما إلى البلدان . وكان على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي ، فدعا الناس إلى البيعة فأجابوا، وأبى سعِيد بن المُسَيب فضربه ضرباً مبرحاً، وطاف به وحبسه . وكتب عبد الملك إلى هشام يلومه ويقول : إن سعيدا ليس عنده شقاق ولا نفاق ولا خلاف ، وقد كان ابن المسيب امتنع من بيعَة ابن الزبير، فضربه جابر بن الأسود عامل المدينة لابن الزبير ستين سوطاً، وكتب إليه ابن الزبير يلومه . وقيل : إن بيعَة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين ، والأول أصحّ. وقيل قَدِمَ عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر، فلما فارقه وصّاه عبد الملك فقال ابسط بشرك ، وألِنْ كنفك ، وآثر الرفق في الأمور فهو أبلغ لك ، وانظر حاجبك ، وليكن من خير أهلك ، فإنه وجهك ولسانك . ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو تردّه ، فإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك ، وتثبت ، في قلوبهم محبتك . وإذا انتهى إليك مشكل فاستظهر عليه بالمشورة فإنها تفتح مغاليق الأمور المبهمة . واعلم أن لك نصف الرأي ولأخيك نصفه ، ولن يهلك امرؤٌ من مشورة . وإذا سخطت على أحد فأخِّر عقوبته ، فإنك على العُقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردّها بعد إصابتها .

وفاة عبد الملك وبيعة الوليد

ثم توفي عبد الملك منتصف شوّال سنة ست وثمانين ، وأوصى إلى بنيه فقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإنها أزين حلية وأحصن كهف ، ليعطف الكبير منكم على الصغير، وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه ، فإنه نابكم الذي عنه تفترّون ، ولحيكم الذي عنه ترمون . وأكرموا الحجّاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر، ودوّخ لكم البلاد، وأذلّ لكم مغنى الأعداء . وكونوا بني أم بررة، لا تدب بينكم العقارب . وكونوا في الحرب أحرارا، فإن القتال لا يقرِّب منية . وكونوا

للمعروف منارا ، فإن المعروف يبقى أجره وذخره وذكره وضعوا معروفكم عند ذوي الأحساب فإنه لصون له ، واشكر لما يؤتى إليهم منه ، وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فإن استقالوا فأقيلوا ، وإن عادوا فانتقموا . ولما دفن عبد الملك قال الوليد : إنّا لله وإنا إليه راجعون والله المُستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة . فكان أوّل مَن عزّى نفسه وهنأها . ثم قام عبد الله بن همّام السامولي وهو يقول :

الله أعْطَاكَ التي لا فَوْقَها وقد أراد المُلْحِدُونَ عَوْقَهَا

عَنْكَ ويأبى الله إلا سَوْقَهَا إلَيْكَ حتى قَلدُوكَ طَوْقَهَا

وبايعه ثم بايعه الناس بعده ، وقيل إن الوليد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيّها الناس لا مقدِّم لما أخّره الله ، ولا مؤخّر لما قدمه الله ، وقد كان من قضاءِ الله وسابق علمه ، وما كتب على أنبيائه وحَمَلَة عرشه الموتُ ، وقد صار إلى منازل الأبرار ووبيَ هذه الأمة بالذي يحقّ عليه في الشدّة على المذنب واللين لأهل الحق والفضل ، لإقامة ما أقام الله من منازل الإسلام وإعلائه ، من حج البيت وغزو الثغور وشنّ الغارة على أعداء الله ، فلم يكن عاجزاً ولا مُفَرطا ً. أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، فإن الشيطان مع المنفرد. أيها الناس مَن أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومَن سكت مات بدائه ثم نزل .

ولاية قتيبة في مسلم خراسان وأخباره :

قَدِمَ قُتَيْبَةُ خراسان أميراً عن الحجّاج سنة ست وثمانين ، فعرض الجند وحثّ على الجهاد، وسار غازياً وجعل على الحرب بمرو إياس بن عبد الله بن عمرو، سوعلى الخراج عثمان بن السعد وتلقاه دهاقين البلخ والطالقان وساروا معه . ولما عبر النهر تلقّاه ملك الصُغانِيان بهداياه . وكان ملك أخْرُونَ وسومان يسيءُ جواره فدعاه إلى بلاده وسلّمها إليه . وسار قتيبة إلى أخرون وسومان وهو من طخارستان ، فصالحه ملكهما على فدية أدّاها إليه ، وقبضها ثم انصرف إلى مرو، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ، ففتح بعد

رجوع قتيبة كاشان وأورَشْتَ من فَرْغَانَةَ ، ثم أخْسِيكَتَ مدينة فرغانة القديمة . وكان معه ابن يسار، وأبلى في هذه الغزاة . وقيل إن قتيبة قَدِمَ خراسان سنة خمس وثمانين ، وكان من ذلك السُبِيّ امرأة برمك . وكان بَرْقكُ على النُوبَهار، فصارت لعبد الله بن مسلم أخي قتيبة، فوقع عليها وعلقت منه بخالد، ثم صالح أهل بلخ وأمر قتيبة بردّ السُبي فالحق عبد الله به حملهما. ثم ردُت إلى برمك . وذكر أن ولد عبد الله بن مسلم ادّعوه ورفعوا أمرهم إلى المهدي وهو بالريّ ، فقال لهم بعض قرابتهم إنكم إن استلحقتموه لا بدّ لكم أن تزوّجوه ، فتركوه . ولما صالح قتيبة ملك سومرن كتب إلى بترك طرخان صاحب باذغيس فيمن عنده من أسرى المسلمين ، وهدّدهم فبعث بهم إليه . ثم كتب إليه يستقدمه على الأمان ، فخشي وتثاقل ، ثم قَدِمَ وصالح لأهل باذغيس على أن لا يدخلها قتيبة، ثم غزا بيكَنْدَاد في مدائن بُخَارى إلى النهر سنة سبع وثمانين . فلما نزل بهم استجاشوا بالصُغْدِ وبمَن حولهم من الترك ، وساروا إليه في جموع عظيمة، وأخذوا عليه الطرق . فانقطعت الأخبار والرسل ما بينه وبين المسلمين شهرين ، ثم هزمهم بعض الأيام وأثخن فيهم بالقتل والأسْر وجاء إلى السور ليهدمه ، فسألوا الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم ، وسار عنهم غير بعيد . فقتلوا العامل ومَن معه ، فرجع إليهم وهدم سورهم ، وقتل المُقَاتِلَةَ وسبى الذُّرّيةَ، وغنم من السلاح وآنية الذهب والفضة ما لم يصيبوا مثله . ثم غزا سنة ثمان وثمانين بلد نُومَكَثْتَ ، فصالحوه وسار إلى رامِسَةَ فصالحوه أيضاً، فانصرف وزحف أيضاً إليه التُرْك والصُّغْد وأهل فرغانة في مائتي ألف ، ومَلِكُهُم كُورْبَعابُور ابن أخت ملك الصين ، واعترضوا مقدمته وعليها أخوه عبد الرحمن ، فقاتلهم حتى جاء قتيبة وكان ينزل معه ، فأبلى مع المسلمين . ثم انهزم الترك وجموعهم ، ورجع قتيبة إلى مرو، ثم أمره الحجّاج سنة تسع وثمانين بغزو بخارى وملكها وِرْدانُ خُدَاه ، فعبر النهر من زمّ ، ولقيه الصغد وأهل كش ونسف بالمفازة وقاتلوه فهزمهم ومض إلى بخارى، فنزل عن يمين وردان ولم يظفر منه بشيءٍ ورجع إلى مرو.

عمارة المسجد :

كان الوليد عزل هشام بن إسماعيل المخزومي عن المدينة سنة سبع وثمانين ، لأربع سنين من ولايته ، وولّى عليها عمر بن عبد العزيز، فقَدِمها ونزل دار مروان ، ودعا عشرة من فقهاء المدينة

فيهم الفقهاءُ السبعة المعروفون ، فجعلهم أهل مشورته لا يقطع أمراً دونهم ، وأمرهم أن يبلّغوه الحاجات والظلامات فشكروه وجزوه خيراً ، ودعا له الناس . ثم كتب إليه سنة ثمان أن يدخل حِجْرَ أمهات المؤمنين في المسجد ويشتري ما في نواحيه ، حتى يجعله مائتي ذراع في مثلها، وقدم القبلة. ومَن أبى أن يعطيك ملكه فقومه قيمة عدل ، وادفع إليه الثمن ، واهدم عليه الملك ، ولك في عمر وعثمان أسوة . فأعطاه أهل الأملاك ما أحب منها بأثمانها وبعث الوليد إلى ملك الروم أنه يريد بناء المسجد، فبعثَ إليه ملك الروم بمائة ألف مثقال من الذهب ، ومائة من الفعلة، وأربعين حملاً من الفُسَيْفِساء، وبعث بذلك كله إلى عمر بن عبد العزيز، واستكثر معهم من فعَلَة الشام ، وشرع عمر في عمارته اهـ . ووَلَّى الوليد في سنة تسع وثمانين على مكة خالد بن عبد الله القسْرِي.

فتح السند:

كان الحجّاج قد ولّى على ثغر السند ابن عمّه محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل ، وجهّز معه ستة آلاف مقاتل ، ونزل مكران ، فأقام بها أياماً . ثم أتى فيريوز ففتحها، ثم أرْمايِل . ثم سار إلى الدَبيل وكان به بد عظيم في وسط المدينة على رأسه دقْل عظيم وعليه راية . فإذا هبّت الريح دارت فأطافت بالمدينة . والبدّ صنم مركوز في بناءٍ ، والدقل منارة عليه . وكل ما يعبد فهو عندهم بدّ . فحاصر الدبيل ورماهم بالمنجنيق ، فكسر الدقل فتطيّروا بذلك . ثم خرجوا إليه فهزمهم ، وتسنم الناس الأسوار ففتحت عنوة، وأنزل فيها م أربعة آلاف من المسلمين ، وبنى جامعها وسار عنها إلى النَيْروز . وقد كانوا بعثوا إلى الحجّاج وصالحوه ، فلقوا محمداً بالميرة وأدخلوه مدينتهم ، وسار عنها . وجعل لا يمرّ بمدينة من مدائن السند إلا فتحها حتى بلغ نهر مهران ، واستعد ملك السند لمحاربته واسمه داهر بن صَصة . ثم عقد الجسر على النهر وعبر، فقاتله داهر وهو على الفيل وحوله الفيلة . ثم اشتد القتال وترجل داهر، فقاتل حتى قتل ، وانهزم الكفّار واستلحمهم المسلمون . ولحقت امرأة داهر بمدينة رارو فساروا إليها وخافته فاحرقت نفسها وجواريها . وملك المدينة ولحق الفلّ بمدينة بدهَمْنَابَادَ العتيقة على فرسخين من مكان المنصورة، وهي يومئذ غَيْضَة، ففتحها عنوة واستلحم مَن وجد بها

وخرّبها . ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة، وقطع نهر ساسِل إلى الملقاد، فحاصرها وقطع الماء عنها، فنزلوا على حكمه . فقتل المقاتلة وسبى الذريّة، وقتل سَدَنَةَ البلد وهم ستة آلاف . وأصابوا في البلد ذهباً كثيراً في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية ، كانت الأموال تُهدى إليه من البلدان ، ويحجّون إليه ويحلقون شعرهم عنده ، ويزعمون أنه هو أيوب . فاستكمل فتح السند، وبعث من الخمس بمائة وعشرين ألف ألفٍ وكانت النفقة نصفها .

فتح الطالقان وسمرقند وغرو كشّ ونسف والشاش وفرغانة وصلح خوارزم :

قد تقدّم أن قتيبة غزا بخارى سنة تسع وثمانين ، وانصرف عنها ولم يظفر .وِبعث إليه الحجّاج سنة تسعين يوبّخه على الانصراف عنها ويأمره بالعَوْد . فسار إليها ومعه نيْزَكُ طُرْخَان صاحب باذغيس ، وحاصرها . واستجاش ملكها وردان ، أخذاه بمَن حوله من الصُغْدِ والترْكِ . فلما جاء مددهم خرجوا إلى المسلمين ، وكانت الأزد في المقدّمة، فانهزموا حتى جازوا عسكر المسلمين ثم رجعوا ، وزحفت العساكر حتى ردوا الترك إلى موقفهم . ثم زحف بنو تميم وقاتلوا الترك حتى خالطوهم في مواقفهم وأزالوهم عنها . وكان بين المسلمين وبينهم نهر لم يتجاسر أحد على عبوره إلا بنو تميم ، فلما زالوا عن مواقفهم عبر الناس واتبعوهم وأثخنوا فيهم بالقتل ، وخرج خاقان وابنه وفتح الله على المسلمين ، وكتب بذلك إلى الحجّاج .

ولما استوت الهزيمة جاء طرخون ملك الصغد ومعه فارسان ، ودنا من عسكر قتيبة يطلب الصلح على فدية يؤدّيها فأجابه قتيبة وعقد له ، ورجع قتيبة ومعه نيزك ، وقد خافه لما رأى من الفتوح ، فاستأذنه في الرجوع وهو بآمُدَ، فرجع يريد طَخارِسْتَانَ ، وأسرع السير. وبعث قتيبة إلى المغيرة بن عبد الله يامره بحبسه ، وتبعه المغيرة فلم يدركه ، وأظهر نيزك الخلع ودعا لذلك الأصْبَهْبَذَ ملك بَلْخَ وباذان ملك مَرْو الروذ وملك الطالِقان وملك ألقاًرباب وملك الجَوْزَجَانِ فأجابوه ، وتوعدوا لغزو قتيبة . وكتب إلى كاتب شاه يستظهر به وبعث إليه بأثقاله وأمواله ، واستأذنه في الإتيان إن اضطر إلى ذلك . وكان جَيْفُونَةُ ملك

طخارستان نيزك عنده ، فاستضعفه وقبض عليه وقيّده خشية من خلافه ، وأخرج عامل قتيبة من بلده . وبلغ قتيبة خبرهم قبل الشتاء وقد تفرّق الجند، فبعث أخاه عبد الرحمن بن مسلم في اثني عشر ألف إلى البروقان ، وقال أقم بها ولا تُحْدِث شيئاً، فإذا انقضى الشتاءُ تقدّم إلى طخارستان وأنا قريب منك . ولما انصرم الشتاء استقدم قتيبة الجنود من نيسابور وغيرها فقدموا ، فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد دخل معهم في الخلع ، ففتحها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ في مثلها، واستخلف عليها أخاه محمد بن مسلم ،وسار إلى القارِباتِ فخرج إليه ملكها مطيعاً . واستعمل عليها وسار إلى الجوزجان فلَقيَه أهلها بالطاعة، وهرب ملكها إلى الجبال واستعمل عليها عامر بن ملك الحماس . ثم أتى بلخ وتلقّاه أهلها بالطاعة، وسار يتبع أخاه عبد الرحمن إلى شعب حمله ، ومض نيزك إلى بغلان وخلف المقاتلة على فم الشعب ولا يهتدي إلى مدخل ، ومضايقوه يمنعونه . ووضع أثقاله في قلعة من وراء الشعب . وأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على فم الشعب ولا يهتدي إلى مدخل ، حتى دلّه عليه بعض العجم هنالك على طريق سرب منه الرجال إلى القلعة فقاتلوهم ، وهرب مَن بقي منهم ومضى إلى سمنجان ثم إلى نيزك ، وقدّم ، أخاه عبد الرحمن . وارتحل نيزك إلى وادي فرغانة ، وبعث أثقاله وأمواله إلى كابل شاه ، ومضرَ إلى السكون فتحضن به ولم يكن له إلا مَسْلَكٌ واحد صب على الدواب ، فحاصره قتيبة شهرين حتى جهدوا وأصابهم جهد الجُدَري . وقَرُبَ فصل الشتاء فدعا قتيبة بعض خواصّه ممّن كان يصادق نيزك فقال : انطلق إليه وأثنِ عليه بغير أمان ، وإن أعياك فأمّنه . وإن جئت دونه صلبتك . فمض الرجل وأشار عليه بلقائه وأنه عازم على أن يشقّ هنالك ، فقال أخشاه ! فقال له لا يخلّصك إلا إتيانك ، وتنّصح له بذلك وبأنه يخشى عليه من غدر أصحابه الذين معه . ولم يزل يفتل له في الذروة والغارب ، وهو يمتنع حتى قال له إنه قد أمنك . فأشار عليه أصحابه بالقبول لعلمهم بصدقه ، وخرج معه نيزك ومعهم جيفونة ملك طخارستان الذي كان قيده ، حتى انتهوا إلى الشعب وهناك خيل أكمنه الرجل ما كان فيه ، وكتب إلى الحجّاج يستأذنه في قتل نيزك ، فوافاه كتابه لأربعين يوماً بقتله فقتله ، وقتل معه صول طرخان خليفة جيفونة وابن أخي نيزك ومن أصحابه

سبعمائة وصلبهم ، وبعث برأسه إلى الحجاج . وأطلق جيفونة وبعث إلى الوليد . ثم رجع إلى مرو. وأرسل إليه ملك الجوزجان يستأمنه ، فأمنّه على أن يأتيه ، فطلب الرهن فأعطاه وقَدِم . ثم رجع فمات بالطالقان وذلك سنة إحدى وتسعين . ثم سار إلى شومان فحاصرها، وقد كان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده ، فبعث إليه بعد مرجعه من هذه الغزاة أن يؤدّي ما كان صالح عليه ، فقتل الرسول ، فسار إليه قتيبة وبعث له صالح أخو قتيبة وكان صديقه ينصحه في مراجعة الطاعة فأبى ، فحاصره قتيبة ونصب عليه المجانيق ، فهدم الحصن وجمع الملك ما في الحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر لا يدرك قعره ، ثم استمات وخرج فقاتل حتى قتل . وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذريّة، ثم بعث أخاه عبد الرحمن إلى الصُغْد وملكهم طرخون ، فأعطى ما كان صالح عليه قتيبة . وسار قتيبة إلى كشّ ونسف فصالحوه ، ورجع ولقي أخاه ببخارى وساروا إلى مرو . . ولما رجع عن الصغْدِ حبس الصغد ملكهم طرخون لإعطائه الجزية، وولوا عليهم غورك ، فقتل طرخون نفسه . ثم غزا في سنة اثنتين وتسعين إلى سِجِسْتان يريد رَتْبِيل ، فصالحه وانصرف . وكان ملك خوارزم قد غلبه أخوه خَرَاد علي أمره وكان أصغر منه ، وعاثَ في الرعيّة وأخذ أموالهم وأهليهم ، فكتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها إليه على أن يمكّنه من أخيه ومن عصاه من دونهم . فأجابه قتيبة ولم يُطلِع الملك أحداً من مرازِبَتِهِ على ذلك . وتجهّز قتيبة سنة ثلاث وتسعين وأظهر غزو الصغد، فأقبل أهل خوارزم على شأنهم ولم يحتفلوا بغزوه وإذا به قد نزل هزار سبّ قريباً منهم . وجاء أصحاب خوارزم شاه إليه يدعوه للقتال. فقال ليس لنا به طاقة! ولكن نصالحه على شيءٍ نعطيه كما فعل غيرنا . فوافقوه وسار إلى مدينة الفِيد من وراء النهر، وهذا حصن بلاده . وصالحه بعشرة آلاف رأس وعين ومتاع ، وأن يعينه على خامِ جُرد، وقيل على مائة ألف رأس .

وبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى خام جرد وهو عدو لخوارزم شاه ، فقاتله وقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه ، وأسر منهم أربعة آلاف فقتلهم . وسلم قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومَن كان يخالفه من أمرائه فقتلهم ، ودفع أموالهم إلى قتيبة. ولما قبض قتيبة أموالهم أشار عليه المُحشرُ بن مُخَازِمِ

السلَمِيّ بغزو الصغْد وهم آمنون على مسافة عشرة أيام . فقال اكتم ذلك ، فقدّم أخاه الفرسان والرّماة ، وبعثوا بالأثقال إلى مرو، وخطب قتيبة الناس وحثّهم على الصغد وذكرهم الضغائن فيهم . ثم سار فأتى الصغد بعد ثلاث من وصول أخيه ، فحاصرهم بسمرقند شهرا واستجاشوا ملك الشاش وأخشاد خاقان وفرغانة ، فانتخبوا أهل النجدة من أبناء الملوك والمرازبة والأساورة ، وولّوا عليهم ابن خاقان وجاؤوا إلى المسلمين ، فانتخب قتيبةُ من عسكره ستمائة فارس ، وبعث بهم أخاه صالحاً لاعتراضهم في طريقهم ، فلقوهم بالليل وقاتلوهم أشدّ قتال ، فهزموهم وقتلوهم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم إلا القليل وغنموا ما معهم ، ونصب قتيبة المجانيق فرماهم بها وثلم السور واشتد في قتالهم ، وحمل الناس عليهم إلى أن بلغوا الثلمة . ثم صالحوه على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام ، وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، وأن يمكّنوه من بناءِ مسجد بالمدينة ويخلوها حتى يدخل فيصلّي فيه . فلما فعل ذلك ودخل المدينة أكرههم على إقامة جند فيها . وقيل إنه شرط عليهم الأصنام وما في بيوت النار، فأعطوه فاخذ الحلية وأحرق الأصنام وجمع من بقايا مساميرها، وكانت ذهباً، خمسين ألف مثقال . وبعث بجارية من سبيها من ولد يزدجرد إلى الحجّاج ، فأرسلها الحجّاج إلى الوليد وولدت له يزيد . ثم قال فورك لقتيبة انتقل عنّا، فانتقل وبعث إلى الحجّاج بالفتح . ثم رجع إلى مرو، واستعمل على سمرقند إياس بن عبد الله على حربها، وعبيد الله بن أبي عبيد الله مولى مسلم على خراجها، فاستضعف أهل خوارزم إياساً وجمعوا له ، فبعث قتيبة عبد الله عاملاً علىِ سمرقند، وأمره أن يضرب إياساً وحبايا السطي مائة مائة وبخلعهما. فلما قرب عبد الله من خوارزم مع المغيرة بن عبد الله فبلغهم ذلك ، وخشي ملكهم من أبناء الذين كان قتلهم ففر إلى بلاد الترك . وجاء المغيرة فقتل وسبى وصالحه الباقون على الجزية، ورجع إلى قتيبة فولاّه على نيسابور. ثم غزا قتيبة سنة أربع وتسعين . إلى ما وراء النهر، وفرض البعث على أهل بُخارى وكَشّ ونسَفَ وخوارزم ، فسار منهمٍ عشرون ألف مقاتل فبعثهم إلى الشاش . وسار هو إلى خَجَنْدَةَ فجمعوا له واقتتلوا مرارا كان الظفر فيها للمسلمين ، وفتح الجند الذين ساروا إلى مدينة الشاش وأحرقوها،. ورجعوا إلى قتيبة وهو على كشان

مدينة فَرْغَانَةَ وانصرف إلى مرو. ثم بعث الحجّاج إليه جيشاً من العراق وأمره بغزو الشاش فسار لذلك وبلغه موت الحجّاج فرجعوا إلى مرو.

خبر يزيد بن المهلب وإخوته :

كان الحجّاج قد حبس يزيد وإخوته سنة ست وثمانين ، وعزل حبيب بن المُهَلب عن كرمان فأقاموا في محبسهم إلى سنة تسعين ، وبلغه أن الأكراد غلبوا على فارس ، فعسكر قريباً من البصرة للبعث ، وأخرج معه بني المهلب وجعلهم في فسطاط قريباً منه ، ورتّب عليهم الحرس من أهل الشام . ثم طلب منهم ستة آلاف ألف ، وأمر بعذابهم وبكت أختهم هند بنت المهلّب زوجة الحجّاج فطلّقهَا . ثم كفَّ عنهم وجعل يستأدبهم ، وبعثوا إلى أخيهم مروان وكان على البصرة أن يعذ لهم خيلا، وكان حبيب منهم يعذب بالبصرة . فصنع يزيد للحرس طعاماً كثيراً وأمر لهم بشراب ، فأقاموا يتعاقرون ، واستغفلهم يزيد والمُفضلُ وعبد الملك وخرجوا ولم يفطنوا لهم . ورفع الحرس خبرهم إلى الحجّاج فخشيهم على خراسان ، وبعث البريد إلى قُتَيْبَةَ بخبرهم ليحذّرهم ، وكان يزيد قد ركب السفن إلى البطائح ، واستقبلته الخيل المُعدّة له هناك ، وساروا إلى الشام على السماوة ومعهم دليل من كلب . ونمي خبرهم ، فبعث إلى الوليد بذلك ، وقَدِموا إلى فلسطين فنزلوا على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي ، وكان كريماً على سليمان فاخبره بحالهم .، وأنهم استجاروا به من الحجّاج ، فقال ائتني بهم فقد أجرتهم . وكتب الحجّاج إلى الوليد أن بني المهلب خانوا مال الله وهربوا مني فلحقوا بسليمان ، فسكن ما به لأنه كان خشيهم على خراسان كما خشيهم الحجّاج ، وكان غاضِباً للمال الذي ذهبوا به . فكتب سليمان إلى الوليد أنَ يزيدا عندي وقد أمَّنته ، وكان الحجّاج أغرمه ستة آلاف ألف فأدّ نصفها وأنا أودّي النصف . فكتب الوليد لا أؤَمّنه حتى تبعث به ، فكتب سليمان لأجيئن معه ، فكتب الوليد إذن لا أؤَمّنه . فقال يزيد لسليمان لا يتشاءَم الناس بي لكما، فاكتب معي وتلطف ما أطقت ، فأرسله وأرسل معه ابنه أيوب ، وكان الوليد أمر أن يبعث مقيدا . فقال سليمان لابنه ادخل على عمّك أنت ويزيد في سلسلة . فقال الوليد لما رأى ذلك لقد بلغنا من سليمان . ثم دفع أيوب كتاب أبيه بالشفاعة وضمان المال عن يزيد، فقرأه الوليد واستعطفه أيوب في ذمّة أبيه وجواره ، وتكلم يزيد واعتذر، فأمنه الوليد ورجع إلى سليمان ، وكتب الوليد إلى الحجّاج

بالكفّ عنهم فكفّ عن حبيب ، وأبي عبسة وكانا عنده ، وأقام يزيد عند سليمان يهدي إليه الهدايا ويصنع له الأطعمة .

ولاية خالد القسري على مكة وإخراج سعيد بن جبير عنها ومتله :

ولما كان في سنة ثلاث وتسعين كتب عُمَر بن عبد العزيز إلى الوليد يقصّ عليه أفعال الحجّاج بالعراق ، وما هم فيه من ظلمه وعدوانه ، فبلغ بذلك الحجّاج فكتب إلى الوليد : إنّ كثيرا من المُرَّاق وأهل الشقاق قد انجلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ومنعهم عمر وأصابه من ذلك وهن . فولّى الوليد على مكّة خالد بن عبد الله القِسْرِيّ وعُثْمَانَ بن حَيَّانَ بإشارة الحجّاج ، وعزل عمر عن الحجاز وذلك في شعبان من السنة . ولما قَدِمَ خالد مكة أخرج مَن كان بها من أهل العراق كرها، وتهدّد مَن أنزل عراقيا أو أجره دارا، وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز يلجا إلى مكة والمدينة كل مَن خاف الحجّاج فيأمن . وكان منهم سعيد بن جبير هاربا من الحجّاج ، وكان قد جعله على عطاء الجند الذين وجّههم مع عبد الرحمن بن الأشعث إلى قتال رتبيل . فلما خرج عبد الرحمن كان سعيد فيمن خلع ، فكان معه إلى أن هزم وسار إلى بلاد رتبيل ، فلحق سعيد بأصبهان وكتب الحجّاج فيه إلى عاملها فتحرّج من ذلك ، ودس إلى سعيد فسار إلى أذربيجان . ثم طال عليه المقام فخرج إلى مكة فكان بها مع ناس أمثاله من طلبة الحجّاج يستخفّون بأسمائهم. فلما قَدِمَ خالد بن عبد الله مكة أمره الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجّاج ، فاخذ سعيد بن جبير ومجاهدا وطلق بن حبيب ، وبعث بهم إلى الحجّاج فمات طلق في الطريق وجيء بالآخرين إلى الكوفة، وأدخلا على الحجّاج . فلما رأى سعيدا شتم خالدا القسري على إرساله وقال : لقد كنت أعرف أنه بمكة، وأعرف البيت الذي كان فيه ، ثم أقبل على سعيد وقال : ألم أشرِكْكَ في أمانتي ؟ ألم أستعملك ؟ ثم تفعلا ! يعدد أياديه عنده . فقال : بلى! قال : فما أخرجك على قتالي ؟ أنا امرؤٌ من المسلمين اخطىء مرّة وأصيب أخرى . ثم استمر في محاورته فقال : إنما كانت بيعة في عنقي فغضب الحجّاج وقال : ألم آخذ بيعتك لعبد الملك بمكة بعد مقتل ابن الزبير؟ ثم جددت له البيعة بالكوفة فأخذت بيعتك

ثانيا؟ قال : بلى! قال : فنكثت بيعتين لأمير المؤمنين ، وتوفي بواحدة للفاعل ابن ألفاًعل ، والله لأقتلنّك . فقال : إني لسعيد كما سمّتني أمي ، فضربت عنقه ، فهلّل رأسه ثلاثا أفصح منها بمرّة. ويقال إن عقل الحجّاج التبس يومئذ وجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوها قيود سعيد بن جبير، فأخذوها من رجليه وقطعوا عليها ساقيه ، وكان إذا نام يرى سعيد بن جبير في منامه آخذا بمجامع ثوبه يقول : يا عدوّ الله فيمَ قتلتني فينتبه مرعوبا يقول ما لي ولسعيد بن جبير.

وفاة الحجاج :

وتوفي الحجّاج في شوّال سنة خمس وتسعين لعشرين سنة من ولايته العراق ، ولما حضرته الوفاة استخلف على ولايته ابنه عبد الله ، وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كَبْشَةَ، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، فاقرّهم الوليد بعد وفاته . وكتب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان : قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجهدك وجهادك أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي تحب ، فأتمم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك ، حتى كأني .أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت فيه ، ولم يغير الوليد أحدا من عمّال الحجّاج .

أخبار محمد بن القاسم بالسند :

كان محمد بن القاسم بالمَلْتان وأتاه خبر وفاة الحجّاج هنالك فرجع إلى الدور

والثغور وكان قد فتحه ثم جهّزه الناس إلى السلْمَاس مع حبيب فأعطوا الطاعة، وسالمه أهل شرست وهي مغزى أهل البصرة ، وأهلها يقطعون في البحر. ثم سار في العسكر إلى [*] فخرج إليه دوهر فقاتله محمد وهزمه وقتله ، ونزل أهل المدينة على حكمه فقتل وسبا. ولم يزل عاملاً على السند إلى أن ولي سليمان بن عبد الملك ، فعزله وولى يزيد بن أبي كَبْشَةَ السكْسَكِي على السند مكانه . فقيده يزيد وبعث به إلي العراق ، فحبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط ، وعذبه في رجال من قرابة الحجّاج على

قتلهم . وكان الحجّاج قتل أخاه آدم على رأي الخوارج. ومات يزيد بن أبي كبشة لثمان عشرة ليلة من مقدمه . فولّى سليمان على السند حبيب بن المُهَلبِ ، فقَدِمَها وقد رجع ملوك السند إلى ممالكهم ، ورجع حبشة بن داهر إلي برهما باذ، فنزل حبيب علِى شاطىء مهران ، وأعطاه أهل الروم الطاعة، وحارب فظفر، ثم أسلم الملوك لما كتب عمر بن عبد العزيز إلى الإسلام على أن يملكهم وهم أسوة المسلمين فيما لهم وعليهم ، فاسلم حبشة والملوك وتسمّوا بأسماء العرب وكان عُمَرُ بن مسْلِم الباهِلي عامل عمر على ذلك الثغر، فغزا بعض الهند وظفر. ثم ولَّى الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن على السند أيام هشام بن عبد الملك ، فأتى شطّ مهران . ومنعه حبشة بن داهر العبور وقال : إني قد أعملت وولّاني الرجل الصالح ، ولست آمنك فأعطاه الرهن ثم ردّها حبشة وكفر وحارب ، فحاربه الجنيد في السفن وأسره ثم قتله . وهرب صَصَةُ بن داهر إلى العراق شاكياً لغدر الجنيد، فلم يزل يؤنسه حتى جاءه فقتله . ثم غزا الجنيد المكيرج من آخر الهند وكانوا انقضّوا، فاتخذ كباشاً زاحفة ثم صكّ بها سور المدينة فثلمها، ودخل فقتل وسبى وغنم وبعث العمَال إلى المرمد والمعدل ودهج ، وبعث جيشاً إلى أرين فأغاروا عليها وأحرقوا ربضها ، وحصل عنده سوى ما حمل أربعون ألف ألف ، وحمل مثلها وولّى تميم بن زيد الضبِيّ فضعف ووهن ومات قريباً من الهدبيلِ . وفي أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند وتركوا مراكزهم . ثم ولي الحكم ابن سَوّام الكلبيّ ، وقد كفر أهل الهند إلا أهل قَصَّةَ، فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها ماوى المسلمين . وكان معه عمر بن محمد بن القاسم ، وكان يفوّض إليه عظائم الأمور وأغزاه عن المحفوظة . فلما قَدِمَ وقد ظهر أمره فبنى مدينة وسمّاها المنصورة وهي التي كان أمراءُ السند ينزلونها، واستخلص ما كان غلب عليه العدوّ ورضي الناس بولايته . ثم قتل الحكم وضعفت الدولة الأموية عن الهند . وتأتي أخبار السند في دولة المأمون .

فتح مدينة كاشغر:

أجمع قتيبة لغزو مدينة كاشغر سنة ست وتسعين وهي أدنى مدائن الصين ، فسار لذلك وحمل مع الناس عيالاً تَهم ليضعها بسمرقند وعبر النهر، وجعل على المجاز مسلحة يمنعون الراجع من العساكر إلا بإذنه . وبعث مقدمة إلى كاشَغْرَ فغنموا وسبوا وختم أعناق السُبي ، وأوغل حتى قارب الصين . فكتب إليه ملك الصين يستدعي من أشراف العرب مَن يخبره عنهم وعن دينهم . فانتخب قتَيْبَةُ عشرة من العرب كان منهم هُبَيْرَةُ بن شَمَرْجَ الكتابيّ ، وأمر لهم بعدة حسنة ومتاع من الخَزَ والوَشي وخيول أربعة وقال لهم أعلموه أني حالف إني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم . ولما قَدِموا على ملك الصين دعاهم في اليوم الأول فدخلوا ، وعليهم الغلائل والأردية ، وقد تطيبوا ولبسوا النعال ، فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممّن حضره ، وقالوا بعد انصرافهم هؤلاء نسوان . فلبسوا الوشي والمطارف وعمائم الخز وغدوا عليه ، فلم يكلّموهم وقالوا هذه أقرب إلى هيئة الرجال . ثم دعاهم الثالثة فلبسوا سلاحهم وعلى رؤوسهم البيضات والمغافر، وتوشحوا السيوف واعتقلوا الرماح ، ونكبوا القِسِي فهالهم منظرهم . ثم انصرفوا وركبوا فتطاردوا، فعجب القوم منهم. ثم دعا زعيمهم هُبَيْرَةَ بن شَمَرْجَ فسأله لِمَ خالفوا في زيِّهم ؟ فقال : أما الأول فإنا نساءُ في أهلنا، وأما الثاني فزيّنا عند أمرائنا، وأما الثالث فزيّنا لعدوّنا. فاستحسن ذلك ثم قال له : قد رأيتم عِظَم مُلكي ، وأنه ليس أحد يمنعكم منّي ، وقد عرفت قلتكم فقولوا لصاحبكم ينصرف وإلا بعثت مَن يهلككم . فقال هبيرة كيف نكون في قلّة وأول خيلنا في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وأمّا القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه ، ولنا آجال إذا حضرت فلن نتعداها، وقد حلف صاحبنا أنه لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويأخذ جزيتكم . قال الملك: فإنّا نُخرِجه من يمينه ، نبعث له بتراب من أرضنا فيطؤه ، ويقبض أبناءنا فيختمهم وبهدية ترضيه ، ثم أجازهم فأحسن . وقَدِموا على قتيبة فقبل الجزية ووطئ التراب وختم الغلمان وردّهم ثم انصرف من غداته . وأوفد هبيرة إلى الوليد، وبلغه وهو في الفرات موت الوليد.

وفاة الوليد وبيعة سليمان :

ثم توفي الوليد في منتصف جمادى الأخيرة من سنة ست وتسعين ، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز وكان من أفضل خلفاء بني أمية وبنى المساجد الثلاثة: مسجد المدينة، ومسجد القدس ومسجد دمشق . ولما أراد بناء مسجد دمشق كانت في موضعه كنيسة فهدمها وبناها مسجدا وشكوا ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال : نردّ عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فإنها خارج المدينة ممّا فتح عنوة ونبنيها مسجدا فتركوا ذلك. وفتح في ولايته الأندلس وكاشغر والهند، وكان يتخذ الضياع وكان متواضعاً يمّر بالبقَّال فيسأله بِكَم حزمة البَقْل ؟.ويسعّر عليه وكان يختم القرآن في ثلاث وفي رمضان في يومين وكان أراد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز، فأبى سليمان فكتب إلى عمّاله ودعا الناس إلى ذلك فلم يُجُبْه إلا الحجّاج وقتيبة وبعض خواصّه . واستقدم سليمان ثم استبطأه فأجمع السير إليه ليخلعه فمأّت دون ذلك . ولما مات بويع سليمان من يومه وهو بالرمْلَةِ فعزل عثمان بن حيّان من المدينة آخر رمضان ، وولّى عليها أبا بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، وعزل ولاة الحجّاج عن العراق فولّى يزيد بن المهلّب على المِصْرَيْن وعزل عنهما يزيد بن أبي مسلم . فبعث يزيد أخاه زياداً على عمّان وأمر سليمان يزيد بن المهلّب بنكبة آل أبي العُقَيْل قوم الحجّاج وبني أبيه وبسط أصناف العذاب عليهم ، فولّى على ذلك عبد الملك بن المهلب .

مقتل قتيبة بن مسلم :

ولما وَليَ سُلَيْمَانُ خافه قُتَيْبَةُ لما قدّمناه من موافقته الوليد على خلعه ، فخشي أن يولي يزيد بن المُهلَّب خراسان ، فاجمع خلعه وكتب إليه لئن لم تقرّني على ما كنت عليه وتؤمنّي لأخلعنّك وَلأملأنّها عليك خيلاً ورجلاً فأمّنه وكتب له العهد على خراسان وبعث إليه رسوله بذلك ، فبعث الرسول وهو بِحُلْوَانَ أنه قد خلع وكان هو بعد بعثة الكتاب إلى سليمان قد اشتدّ وجله وأشار عليه أخوه عبد الله بالمعاجلة، فدعا الناس !لى الخلع وذكرهم بوائقه وسوء ولاية مَن تقدّمه فلم يجِبْه أحد، فنضب وشتمهم وعدّد وقالبهم قبيلة قبيلة فأثنى على نفسه بالأب والبلد والمعشر. فغضب الناس وكرهوا خلع سليمان وأجمعوا على خلع قتيبة وخلافه وعذل قتيبة أصحابه فيما كان منه فقال : لما **لم تجيبوني**

غضبت فلم أدرِ ما قلت .وجاء الأزد إلى حُصَيْنِ بن المنذر "بالضاد المعجمة" فقالوا : كيف ترى هذا يدعو إلى فساد الدين ويشتمنا ، فعرف مغزاهم فقال : إن مضر بخراسان كثير وتميم أكثرهمِ وهم شوكتها ولا يرضون بغيرهم فيصيبوا قتيبة ولا أرى لها إلا وكيعا . وكان وكيع موثقا من قتيبة بعزله وولاية ضِرار بن حُصَيْن الضَبِّي مكانه . وقال حَيَّان النبَطِيّ مولى بني شَيْبَان ليس لها غير وكيع ، ومشى الناس بعضهم إلى بعض سرّا، وتولّى كِبَر ذلك حيّان ونُمِيَ خبره إلى قتيبة فأمر بقتله إذا دخل عليه ، وتنصح بعض خدم قتيبة بذلك إلى حيّان فلما دعاه تمارض ، واجتمع الناس إلى وكيع وبايعوه . فمن أهل البصرة والعالِيَةِ من المقاتلة تسعة آلاف ، ومن بكر سبعة آلاف رئيسهم حضين بن المنذر، ومن تميم عشرة آلاف عليهم ابن زَخْر، ومن الموالي سبعة آلاف عليهم حيّان النبطي وقيل من الديلم ، وسُمَّيَ نَبَطِيّا للكنته . وشرط على وكيع أن يحوّل له الجانب الشرقي من نهر بلخ فقبل ، وفشا الخبر وبلغ قتيبة فدسّ ضرّار بن سيان الضبّي إلى وكيع فبايعه ، وجاء إلى قتيبة بالخبر فأرسل قتيبة !لى وكيع فاعتذر بالمرض .فقال لصاحب شرطته :ائتني به وإن أبى ائتني برأسه فلما جاء إلى وكيع ركب ونادى في الناس فأتوه أرسالا . واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواصّه وثقاته وبنو عمّه ، وأمر فنودي في الناسي قبيلة قبيلة، وأجابوه بالجفوة . يقول :أين بنو فلان ؟ فيقولون :كحيث وضعتهم فنادى بأذكّركم الله والرحم ، فقالوا: أنت قطعتها! فنادى لكم العتبى ، فقالوا: إنّا لنا الله إذا فدعا ببرْذَوْنٍ ليركبه فمنعه ورَمَحَهُ فعاد إلى سريره وجاء حيّان النبطي في العجم ، فأمره عبد الله أخوقتيبة أن يحمل على القوم ، فاعتذر وقال لابنه :إذا لقيتني حوّلت قلنسوتي فَمِلْ بالأعاجم إلى وكيع ، ثم حوّلها وسار بهم ورمى صالح أخوقتيبة بسهم فحمل إليِ أخيه. ثم تهايج الناس وجاء إلى عبد الرحمن أخي قتيبة الغوغاءُ ونحوهم فاحرقوا آرِيّا فيه إبل قتيبة ودوابّه . ثم زحفوا به حتى بلغوا فِسْطاطه فقطعوا أطنابه وجرخ جراحات كثيرة . ثم قطعوا رأسه وقتل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحُصَيْن وعبد الكريم ومسلم وابنه كُثَيِّرٍ ، وقيل قتل عبد الكريم بقَزْوين، فكان عدَّة مَن قتل من أهله أحد عشر رجلاً ، ونجا أخوه عمر مع أخواله من تميم . ثم صعد وكيع المنبر وأنشد الشعر في الثناء على نفسه وفعله والذمّ من قتيبة ووعده بحُسْن السيرة وطلب رأس قتيبة وخاتمه من الأزد

وهدّدهم عليه فجاؤُوا به فبعثه إلى سليمان ووفى وكيع لحيّان النبَطِيّ بما ضمن له .

ولاية يزيد بن المهلب خراسان :

كان يزيد بن المهلّب لما ولأه سليمان العراق على الحرب والصلاة والخراج استكره أن يحيف على الناس في الخراج فتلحقه المذمة كما لحقت الحجّاج ، ويخرّب العراق، وإن قصّر عن ذلك لم يقبل منه . فرغب من سليمان أن يعفيه من الخراج ، وأشار عليه بصالح ابن عبد الرحمن مولى تميم . فولاه سليمان الخراج وبعثه قِبَلَ يزيد فلما جاء صالح إلى يزيد ضيق عليه صالح، وكان يزيد يُطعمُ على ألف خوان فاستكثرها صالح فقال: اكتب ثمنها عليّ وغير ذلك وضجر يزيد وجاء خبر خراسان ومقتل قتيبة فطمع يزيد في ولايتها ودسّ عبد الله بن الأهتم على سليمان أن يولّيه خراسان ولا يشعر بطلبته بذلك . وسيّره على البريد فقال له سليمان: إن يزيد كتب إليَّ يذكر عملك بالعراق ! فقال نعم بها وُلِدْت وبها نشأت ثم استشاره فيمن يوليه خراسان ولم يزل سليمان بذكر الناس وهو يردُهم ، ثم حذّره من وكيع وغدره قال :فَسَمِّ أنت ! قال شريطة الكمال الإجازة ممّن أشير به ، وإذا علم يكره ذلك . ثم قال :هو يزيد بن المهلب فقال سليمان: العراق أحب إليه ، فقال ابن الأهْتَم : قد علمت ولكن نكرهه فيستخلف على العراق ويسير إلى خراسان ، فكتب عهد يزيد على خراسان وبعثه مع ابن الأهتم فلما جاءه بعث إبنه مخاداً على خراسان وبعثه مع ابن الأهتم . ثم سار بعده واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحَكَمِيّ ، وعلى البصرة ابن عبد الله بن هلال الكِلَابي، وعلى الكوفة حَرْمَلَة بن عيد اللمغْمِيّ . ثم عزله لأشهر بشير بن حيّان النهدي ، فكانت قيس تطلب بثأر قتيبة وتزعم أنه لم يخلع . فأوصى سليمان يزيد إن أقامت قيس بيّنة أنه لم يخلع أن يقيّد به من وكيع .

أخبارالصوائف الصوائف وحصار قسطنطينية

كانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية وحدوث الفتن واشتدت الفتن أيام عبد الملك اجتمعت الروم واستجاشوا على أهل الشام فصالح عبد الملك صاحب قُسْطَنْطِينيةَ على أن يؤدّي إليه كل يوم جمعة ألف دينار خشية منه على المسلمين ونظراً

لهم ، وذلك سنة سبعين لعشر سنين من وفاة معاوية . ثم لما قتل مُصْعَبُ وسكنت الفتنة بعث الجيوش سنة إحدى وسبعين في الصائِفَةِ . فدخل فافتتح قِيسارِيَّةَ، ثم ولّى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وسبعين فدخل في الصائفة إلى بلاد الروم فهزمهم ، ودخل عثمان بن الوليد من ناحية أرمينية في أربعة آلاف ولقِيَه الروم في ستين ألفاً فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والأسر. ثم غزا محمد بن مروان سنة أربع وسبعين فبلغ أنبولِيَةَ وغزا في السنة بعدها في الصائفة من طريق مرعش فدوّخ بلادهم وخرج الروم في السنة بعدها إلى العتيق فغزاهم من ناحية مرعش ثانية، ثم غزاهم سنة ست وسبعين من ناحية مَلْطِيَةَ ودخل في الصائفة سنة سبع وسبعين الوليد بن عبد الملك فاثخن فيهم ورجع وجاء الروم سنة تسع وسبعين فأصابوا من أهل أنطاكية وظفروا بهم فبعث عبد الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عبيد الله بالعسكر ففتح قاليلا. ثم غزا محمد بن مروان سنة اثنتين وثمانين أرمينية وهزمهم ، فسألوه الصلح فصالحهم وولّى عليهم أبا شيخ بن عبد الله فغدروه وقتلوه فغزاهم سنة خمس وثمانين وصافَ فيها وشتّى ثم غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ودوخها، ورجع وعاد إليها سنة سبع وثمانين . فأثخن فيهم بناحية المُصَيْصَةِ وفتح حصونا كثيرة منها حصن بُولَقَ والأحْزَمِ وبُولُسَ وقَمْقِيم . وقتل من المُسْتَقْرِبَةِ ألف مقاتل وسبى أهاليهم . ثم غزا بلاد الروم سنة تسع وثمانين مُسْلِمَةُ بن عبد الملك والعَباسُ بن الوليد، فافتتح مسلمة حِصْنَ سورية وافتتح العباس أردولية ،ولقي جمعا من الروم فهزمهم . وقيل إن مسلمة قصد عَمُورِيَّةَ فلقي بها جمعا من الروم فهزمهم وافتتح هِرَقْلَةَ وقُمولِيَة وغزا العباس الصائفة من ناحية البَلْدَبْدُونِ . وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك سنة تسع وثمانين من ناحية أذَرْبيجَانَ ففتح حصونا ومدائن هناك ثم غزا سنة تسعين ففتح الحصون الخمس التي بسورية . وغزا العباس حتى بلغ أرْدُن وسورية . وفي سنة إحدى وتسعين غزا عبد العزيز بن الوليد في الصائفة مع مسلمة بن عبد الملك وكان الوليد قد ولّى مسلمة على الجزيرة وأرمينية وعزل عمه محمد بن مروان عنها، فغزا الترك من ناحية أذربيجان حتى الباب وفتح مدائن وحصونا ثم غزا سنة اثنتين وتسعين بعدها، ففتح ثلاثة حصون وجلا أهل سَرْسَنَةَ إلى بلاد الروم ثم غزا العباس بن الوليد سنة ثلاث بعدها بلاد الروم ففتح سُبَيْطِلَةَ، وغزا مروان بن الوليد فبلغ حَنْجَرَةَ. وغزا مسلمة ففتح ماشِيَةَ وحصن الحديد وغزالة من ناحية مَلْطِيَةَ . وغزا

العباس بن الوليد سنة أربع وتسعين ، ففتح أنطاكية . وغزا عبد العزيز بن الوليد ففتح غزالة، وبلغ الوليد بن هشام المُعَيْطِيّ مروج الحمام ويزيد بن أبي كَبْشَةَ أرض سورية . وفي سنة خمس وتسعين غزا العباس الروم ففتح هِرَقْلَةَ . وفي سنة سبع وتسعين غزا مسلمة أرض الرضاخِيَّة وفتح الحصن الذي فتحه الرَّصاع ، وغزا عُمَرُ بن هُبَيْرَةَ أرض الروم في البحر فشتى بها، وبعث سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القُسْطَنْطِينِيَّةَ، وبعث ابنه داود على الصائفة ففتّح حصن المِراةِ، وفي سنة ثمان وتسعين مات ملك الروم ، فجاء أَلْقُونُ إلى سليمان فاخبره وضمن له فتح الروم ، وسار سليمان إلى وَابِقَ وبعث الجيوش مع أخيه مسلمة، ولما دنا من القُسْطَنْطِينِيَّةِ أمر أهل المعسكر أن يحمل كل واحد مدّينِ مذين من الطعام ويلقوه في معسكرهم ، فصار أمثال الجبال ، واتخذ البيوت من الخشب . وأمر الناس بالزراعة، وصافَ وشتى وهم يأكلون من زراعتهم وطعامهم الذي استاقوه مُذَخَرا .

ثم جهد أهل القسطنطينية الحصار وسألوا الصلح على الجزية دينارا على الرأس ، فلم يقبل مسلمة، وبعث الروم إلى ألقون إن صرفتَ عنّا المسلمين ملّكناك ، فقال لمسلمة لو أحرقت هذا الزرع علم الروم أنك قصدتهم بالقتال فنأخذهم باليد، وهم الآن يظنون مع بقاء الزرع أنك تطاولهم ، فاحرق الزرع فقوي الروم ، وغدر ألقون وأصبح محاربا ، وأصاب الناس الجوع فأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق ، وسليمان مقيم بوابق وحالَ الشتاء بينهم وبينه ، فلم يقدر أن يمدهم حتى مات . وأغارت بِرْجانُ على مسلمة وهو في قلّة فهزمهم وفتح مدينتهم . وغزا في هذه السنة الوليد بن هشام ، فاثخن في بلاد الروم . وغزا داود بن سليمان سنة ثمان وتسعين ، ففتح حِصْنَ المِراةِ مما يلي مَلْطِيَةَ . وفي سنة تسع وتسعين بعث عمر بن عبد العزيز مسلمة وهو بأرض الروم ، وأمدّه بالنفول بالمسلمين ، وبعث إليه بالخيل والدواب وحث الناس على معونتهم . ثم أمر عمر بن عبد العزيز أهل طريدة بالجلاء عنها إلى ملطية وخَرّبها. وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين ، وفرض على أهل الجزيرة مَسْلَحَة تكون عندهم إلى فصل الشتاء، وكانت متوغلة في أرض الروم فخرّبها عمر، وولى على ملطية جَعُونَةَ بن الحارث من بني عامر بن صَعْصَعَةَ . وأغزى عمر سنة مائة من الهجرة بالصائفة الوليد بن هشام المعيطي وعمر بن قيس الكِنْدِيّ .

فتح جرجان وطبرستان :

كان يزيد بن المهلب يريد فتحهما لما أنهما كانتا للكفّار، وتوسطتا بين فارس وخراسان ولم يصبهما الفتح. وكان يقول وهو في جوار سليمان بالشام إذا قُصَّتْ عليه أخبار قتيبة وما يفعله بخراسان وما وراء النهر، ما فعلت جَرْجانُ التي قطعت الطريق وأفسدت يوُسس ونيسابور، وليست هذه الفتوح بشيءٍ والشأن في جرجان . فلما ولّاه سليمان خراسان سار إليها في مائة ألف من أهل العراق والشام وخراسان سوى الموالي والمُتَطَوِّعَةَ، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة إنما هي جبال ومَخَارِمُ ، يقوم الرجل على باب منها فيمنعه . فابتدأ بِقَهِسْتَانَ فحاصرها وبها طائفة من الترك ، فكانوا يخرجون فيقاتلون وينهزمون في كل يوم ويدخلون حصنهم . ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه دهقان يَتَسْتَاذِنَ يسأل في الصلح وُيسَئلم المدينة وما فيها، فصالحه وأخذ ما فيها من الأموال والكنوز والسُبِيِّ ما لا يحصى ، وقتل أربعة عشر ألفاً من الترك ، وكتب إلى سليمان بذلك . ثم سار إلى جرجان ، وكان سعيد بن العاصي قد صالحهم على الجزية مائة ألف في السنة ، فكانوا أحياناً يجبون مائة وأحياناً مائتين وأحياناً ثلثمائة ، وربما أعطوا ذلك وربما منعوا، ثم كفروا ولم يعطوا خراجاً، ولم يأتِ جرجان بعد سعيد أحدٌ ومنعوا الطريق إلى خراسان على فكان الناس يسلكون على فارس وسَلْماس . ثم فتح قتيبة طريق قومِسَ ، وبقي أمر جرجان حتى جاء يزيد فصالحوه . ولما فتح يزيد قَهَسْتَانَ وجَرْجَانَ طمع في طبرستان ، فاستعمل عبد الله بن معمر اليَشْكُرِيّ على ساسان وقهستان ، وخلف معه أربعة آلاف فارس ، وسار إلى أدنى جرجان من جهة طبرستان ، ونزل بآمد . ونسا راشد بن عمر في أربعة آلاف ، ودخل بلاد طبرستان فسأل صاحبها الأصبَهْبَذ في الصلح ، وأن يخرج من طبرستان. فأبى يزيد ورجا أن يفتحها، ووجّه أخاه عُيَيْنَةَ من وجه ، وابنه خالد بن زيد من وجه ، وإذا اجتمعا فعُيينة على الناس . واستجاش الأصبهبذ أهل جيلان والديْلَم والتقوا ، فانهزم

المشركون ، واتبعهم المسلمون إلى الشّعْبِ ، وصعد المشركون في الجبل ، فامتنعوا على المسلمين وصعد أبو عيينة بمَن معه خلفهم ، فهزمهم المشركون في الوعر، فكفّوا. وكاتب الأصبهبذ أهل جرجان ومقدَّمهم المرزبان أن يبيتوا للمسلمين عندهم ليقطعوا المادة عن يزيد والطرق بينه وبين جرجان ، ووعدهم بالمكافأة على ذلك . فساروا بالمسلمين وهم غارّون ، وقتل عبد الله بن مَعْمَرَ وجميع مَن معه ولم يَنْجُ أحد . وكتبوا إلى الأصبهبَذ بأخذ المضايق والطرق ، وبلغ ذلك يزيد وأصحابه فعَظُمَ عليهم وهالَهم ، وفزعٍ يزيد إلى حيّان النَبَطِي وكان قد غرمه مائتي ألف درهم بسبب أنه كتب إلى ابنه مخلد كتاباً فبدأ بنفسه ، فقال له لا يمنعك ما كان منّي إليك من نصيحة المسلمين ، وقد علمت ما جاء من جرجان فاعمل في الصلح . فأتى حيّان الأصبهبذ ومت إليه بنسب العجم وتنصّل له ، وفتل له في الذروة والغارب حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة وِقْر زعفران أو قيمته من العين ، وأربعمائة رجل على يد كل رجل منهم ترس وَطَيْلَسان وجام من فضة وخرقة حرير وكسوة، فأرسل يزيد لقبض ذلك ورجع ا هـ .(وقيل) في سبب مسير يزيد إلى جَرْجان أنّ صولا التركي كان على قهستان والبحيرة، جزيرة في البحر على خمسة فراسخ من قهستان ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم ، وكان يُغير على فيروز بن فولفول مرزبان جرجان . وأشار فيروز بنصيب من بلاده ، فسار فيروز إلى يزيد هارباً منه ، وأخذ صول جرجان ، وأشار فيروز على يزيد أن يكتب إلى الأصبهبَذ ويرغّبه في العطاء إن هو حبس صولاً بجرجان حتى يحاصر بها، ليكون ذلك وسيلة إلى معاكسته وخروجه عن جرجان ، فيتمكّن يزيد منه . فكتب إلى الأصبهبذ وبعث بالكتاب إلى صول ، فخرج من حينه إلى البحيرة . وبلغ يزيد الخبر فسار إلى جرجان ومعه فيروز، واستخلف على خراسان إبنه مُخْلِداً، وعلى سَمَرْقَنْدَ وكَشَّ ونَسْفَ وبُخارَى إبنه معاوية، وعلى طَخَارِسْتَانَ ابن قُبَيْصَةَ بن المُهَلبِ ، وأتى جرجان فلم يمنعه دونها أحد ودخلها. ثم سار منها إلى البحيرة وحصر صولا بها شهراً حتى سأل الصلح على نفسه وماله وثلثمائة، ويسلّم إليه البحيرة، فأجابه

يزيد وخرج صول عن البحيرة، وقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً وأمر إدريس بن حَنْظَلَةَ العمي أن يحصي ما في البحرية، ليعطي الجند فلم يقدر، وكان فيها من الحنطة والشعير والأرُز والسمسم والعسل شيءٌ كثير، ومن الذهب والفِضَّةِ كذلك ولما صالح يزيد أصبهبَذ طبرستان كما قدّمناه سار إلى جرجان وعاهد الله إن ظفر بهم ليطحننّ القمح على سائل دمائهم ويأكل منه . فحاصرهم سبعة أشهر وهم يخرجون إليه فيقاتلونه ويرجعون ، وكانوا متمنّعين في الجبل والأوعار. وقصد رجل من عجم خراسان فأتبع بخلا في الجبل ، وانتهى إلى معسكرهم وعرف الطريق إليه ودلّ الأدلّة على معالمه ، وأتى يزيد فاخبره . فانتخب ثلثمائة رجل مع ابنه خالد، وضم إليه جَهْمَ بن ذَخْرٍ وبعثه ، وذلك الرجل يدل به ، وواعده أن يناهضهم العصر من الغداة . ولما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد ير حطب عنده حتى اضطرمت النيران ، ونظر العدوّ إلى النار فهالهم وحاملوا للقتال آمنين خلفهم ، فناشبهم يزيد إلى العصر، وإذا بالتكبير من ورائهم فهربوا إلى حصنهم ، واتبعهم المسلمون فأعطوا ما بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد . فقتل المقاتلة وسبى الذّرية وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى وادي جرجان ، ومكّن أهل الثأر منهم حتى استلحموهم . وجرى الماء على الدم وعليه الأرحاء فطحن وخبز وأكل ، وقتل منهم أربعين ألفاً . وبنى مدينة جرجان ولم تكن بُنِيت قبل ، ورجع إلى خراسان وولّى على جرجان جهم بن ذخر الجعفي ، ولما قتل مقاتلهم صلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره .

وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز:

ثم توفي سليمان بدابق من أرض قِّنسرين من سنة تسع وتسعين في صفر منها، وقد كان في مرضه أراد أن يعهد إلى ولده داود، ثم استصغره وقال له كاتبه رجاء بن حيوة ابنك غائب عنك بِقُسْطَنْطِينية ولا يعرف حياتَه من موته ، فعدل إلى عُمَرَ بن عبد العزيز وقال له : !ني والله لأعلم أنها تكون فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده ، وكان عبد الملك قد جعل ذلك له ، وكتب بعد البسملة : هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز: إني قد ولّيتك الخلافة بعدي

ومن بعدك يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب . ثم أمر كعب بن جابر العبسي صاحب الشرطة أن يجمع أهل بيته ، وأمر رجاء بن حيوة أن يدفع لهم كتابه وقال : أخبرهم أنه كتابي فليبايعوا مَن ولّيت فيه ، فبايعوه رجلاً رجلاً وتفرقوا . وأتى عمر إلى رجاء يستعمله ويناشده الله والمودّة، يستعفي من ذلك ، فأبى وجاءه هشام أيضاً يستعمله ليطلب حقه في الأمر فأبى، فانصرف أسفاً أن يخرج منْ بني عبد الملك . ثم مات سليمان وجمع رجاء أهل بيته فقرأ عليهم الكتاب . فلما ذكر عمر قال هشام : والله لا نبايعه أبداً فقال له رجاء: والله نضرب عنقك . فقام أسفاً يجرّ رجليه ، حتى جاء إِلى عمر بن عبد العزيز، وقد أجلسه رجاء على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه ، فبايعه واتبعه الباقون . ودفن سليمان وصلى عليه عمر بن عبد العزيز، والوليد كان غائباً عن موت سليمان ، ولم يعلم بيعة عمر، فعقد لواء ودعا لنفسه وجاء إلى دمشق . ثم بلغه عهد سليمان فجاء إلى عمر واعتذر إليه وقال : بلغني أنّ سليمان لم يعهد، فخفت على الأموال أن تنهَب فقال عمر: لو قمت بالأمر لقعدت في بيتي ولم أُنازعك ، فقال عبد العزيز: والله لا أحب لهذا الأمر غيرك ! وأول ما بدأ به عمر لما استقرّت البيعة أنه رد ما كان لفاطمة بنت عبد الملك زوجته من المال والحليّ والجوهر إلى بيت المال . وقال لا أجتمع أنا وأنت وهو في بيت واحد، فردته جميعه . ولما وُلّي أخوها يزيد من بعد ردّه عليها فأبت وقالت : ما كنت أعطيه حياً أعطيه ميتاً، ففّرقه يزيد على أهله . وكان بنو أمية يسبون عليّاً، فكتب عمر إلى الأفاق بترك ذلك ، وكتب إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول بالمسلمين .

عزل يزيد بن المهلب وحبسه والولاية على عمّاله :

ولما استقرت البيعة لعمر كتب في سنة مائة إلى يزيد بن المهلب أن يستخلف على عماله ويقدم ، فاستخلف مخلداً ابنه وقَدِمَ من خراسان ، وقد كان عمر ولى على البصرة عَدِيّ بن أرطاة الفَزَارِيّ ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخَطَّاب ، وضم إليه أبا الزِنادِ، فكتب إلى عديّ بن أرطاة موسى أن يقبض على يزيد بن المهلب ويبعثه مقيداً، فلما نزل يزيد واسط ، وركب السفن يريد البصرة بعث علي بن

أرطاة موسى بن الرحَيْبَةِ الحِمْيَري فلقيه في نهر معقل عند الجسر، فقيّده وبعث به إلى عمر، وكان عمر يبغضه ويقول إنه مراءٍ وأهل بيته جبابرة .

فلما طالبه بالأموال التي كتب بها إلى سليمان من خمس جرجان قال : إنما كتبت لأسمع الناس ، وعلمت أنّ سليمان لم يكن ليأخذني بذلك . فقال له عمر: اتق الله ، وهذه حقوق المسلمين لا يسعني تركها. ثم حبسه بحصن حلب ، وبعث الجراح بن عبد الله الحَكَمِيّ والياً على خُراسان مكانه . وانصرف يزيد بن يزيد فَقَدِمَ على عمر واستعطفه لأبيه ، وقال له يا أمير المؤمنين إن كانت له بيّنة فخذ بها وإلا فاستحلفه ،وإلا فصالحه أو فصالحني على ما تسأل ، فأبى عمر من ذلك وشكر من مخلد ما فعل ثم ألبس يزيد جبة صوف ، وحمله على جمل وسيّره إلى دَهْلَك . ومر يزيد على الناس وهو ينادي بعشيره وبالنكير لما فعل به ، فدخل سلامة بن نعيم الخَولاني على عمر، وقال اردد يزيد إلى محبسه لئلا ينزعه قومه ، فإنهم قد غضبوا فردّه إلى أن كان من أمر فزارة ما يذكر.

ولاية عبد الرحمن بن نعيم القشيري على خراسان :

ولما عزل يزيد عن خراسان وكان عامل جَرجَانَ جَهْمُ بن ذُحْر الجَعْفِي ، فأرسل عامل العراق على جرجان عاملاً مكانه ، فحبسه جهم وقيده . فلما جاء الجراح إلى خراسان أطلق جرجان عاملهم ، ونكر الجَّراح على جهم ما فعل . وقال لولا قرابتك منّي ما سَوَّغْتُكَ هذا! يعني أن جهماً وجعفاً معاً ابنا سعد العشيرة . ثم بعث في الغزو وأوفد على عمر وفداً فكلّم فيه بعضهم عمر بأنه يعرِّي الموالي بلا عطاءٍ ولا رزق ، ويؤاخذ مَن أسلم من أهل الذمة بالخراج . ثم عرض بأنه سيف من سيوف الجراح قد علم بالظلم والعدوان ، فكتب عمر إلى الجّراح انظر مَن صلّى قِبَلك فخل عنه الجزية، فسارع الناس إلى الإسلام فِراراً من الجزية فامتحنهم بالختان وكتب إلى عمربذلك . فكتب إليه عمر أن : الله بعث محمدا داعياً، ولم يبعثه خاتناً، واستقدم الجرّاح وقال : احمل معك أبا مُخْلد واستخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم القُشَيْرِي . ولما قَدِمَ على عمر قال : متى خرجت ؟ قال في شهر رمضان . قال صدقك مَن وصفك بالجفاء، ألا أقمت حتى تفطر ثم تسافر. ثم سأل عمر أبا مخلد عن عبد الرحمن بن عبد الله فقال : يكافىء الأكفاء، ويُعادي الأعداء ويقدم إن وجد ما يساعده . قال فعبد الرحمن بن نعيم ؟ قال يحب العافية وتأتيه ! قال

هو أحب إليّ ، فولاّه الصلاة والحرب ، وولّى عبد الرحمن القشيري الخراج . فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى قتل يزيد بن المهلّب ، وولي مسلمة . فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف. . وظهر من أيام الجرّاح بخراسان دعاة بني العباس فيمن بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس إلى الأفاق حسبما يذكر في أخبار الدولة العباسية

وفاة عمر بن عَبْد العزيز وبيعة يزيد:

ثم توفي عمر بن عَبْد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان، ودفن بها السنتين وخمسة أشهر من ولايته، ولأربعين من عمره، وكان يدعى أشجّ بني أُمَيَّة، رمحته دابة وهو غلام فشجّته. ولما مات ولي بعده يزيد بن عَبْد الملك بعهد سليمان كما تقدم، وقيل لعمر حين احتضر: اكتب إيى يزيد فأوصه بالأمة، فقال بماذا اوصيه؟ إنه من بني عَبْد الملك ! ثم كتب: أمَّا بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة، إنك تترلى ما أترك لمن لا يحمدك وتصير إلى من لا يعذرك والسلام. ولما ولي يزيد عزل أبا بكربن محمد بن عمر بن حزم عن المدينة، وولى عليها عَبْد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهري، وغير كل ما صنعه عمر بن عَبْد العزيز، وكان من ذلك شأن خراج اليمن. فإن محمدا أخا الحجاج جعل عليهم خراجاً مجدداً، وأزال ذلك عمر إلى العشر أو نصف العشر. وقال: لئن يأتيني من اليمن حبة ذرة أحب إلي من تقرير هذه الوظيفة. فلما ولي يزيد أعادها وقال لعامله خذها منهم ولو صاروا حرضاً. وهلك عمه محمد بن مروان فولى مكانه على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية عمه الاخر مسملمة بن عبد الملك.

احتيال يزيد بن المهلب ومقتله:

قد تقدّم لنا حبس يزيد بن المهلب، فلم يزل محبوساً حتى اشتدّ مرض عمر بن عَبْد العزيز فعمل في الهرب مخافة يزيد بن عَبْد الملك لأن زوجته بنت أخي الحجّاج. وكان سليمان أمر ابن المهلب بتعذيب قرابة الحجاج كلهم، فنقلهم من البلقاء وفيهم زوجة يزيد وعذبها. وجاءه يزيد بن عَبْد الملك إلى منزله شافعاً فلم يشفعه، فضمن حمل ما قرر عليها فلم يقبل، فتهدده فقال له ابن المهلب: لئن وليت أنت لأرمينك بمائة ألف

سيف، فحمل يزيد بن عَبْد الملك عنها مائة ألف دينار، ولما اشتدّ مرض عمر خاف من ذلك وأرسل إلى مواليه أن يغدوا إليه بالإبل والخيل في مكان عينه لهم. وبعث إلى عامل حلب بإشفاقه من يزيد، وبذل له المال وإلى الحرس الذين يحفظونه فخلى سبيله، وأتى إلى دوابه فركبها ولحق بالبصرة. وكتب إلى عمر إني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك. ولكن خفت أن يقتلني يزيد شرّقتلة. فقرأ عمر الكتاب وبه رمق، فقال اللهم إن كان ابن المهلب يريد بالمسلمين سوءا فألحقه به وهضه فقد هاض. انتهى. ولما بويع ليد بن عبد الملك، كتب إلى عَبْد الحميد بن عَبْد الرحمن بالكوفة، وإلى عدىّ بن أرطاة بالبصرة بهربه والتحرّز منه،. وأبى عدي أن يأخذ المهلب بالبصرة، فحبس المفضّل حبيباً ومروان ابني المهلب، وبعث عَبْد الحميد من الكوفة جنداً عليهم هشام بن ساحق بن عامر فأتوا العذيب ومرّ بيزيد عليهم فوق القطقطانة فلم يقدموا عليه. ومضى نحو البصرة وقد جمع عدي بن أرطاة أهل البصرة وخندق عليها، وبعث على خيلها المغيرة بن عَبْد الله بن أبي عقيل. وجاء يزيد على أصحابه الذين معه، وانضم إليه أخوه محمد فيمن اجتمع إليه من قومهم. وبعث عدي بن أرطاة على كل خمس من أخماس البصرة رجالاً فعلى الأزد الفغيرة بن زياد بن عمر العتكيّ، وعلى تميم مخرز بن حمدان السعدي، وعلى بكرة نوح بن شيبان بن مالك بن مسمع، وعلى عَبْد القيس مالك بن المنذر بن الجارود، وعلى أهل العالية عَبْد الأعلى بن عَبْد الله بن عامر، وهم قُرَيْش وكنانة والأزد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان ومزينة، فلم يعرضوا ليزيد وأقبل فانزل. انتهى.

واختلف الناس إليه، وأرسل إلى عدي أن يطلق له إخوته فينزل به البصرة، ويخرج حتى يأخذ لنفسه من يزيد، وبعث حميد ابن أخيه عَبْد الملك بن المهلب يستأمن له من يزيد بن عَبْد الملك، فأجاره خالد القسري وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد له ولأهله. وقد كان بعد منصرف حميد فرق في الناس قطع الذهب والفضة فانثالوا طيه، وعدي يعطي درهمين درهمين. ثم تناجزوا الحرب وحمل أصحاب يزيد على أصحاب عدي فانهزموا ودنا يزيد من القصر، وخرج عدي بنفسه، فانهزم أصحابه وخاف أخوة يزيد وهم في الحبس أن يقتلوا قبل وصوله، فأغلقوا الباب وامتنعوا، فجاءهم الحرس يعالجون فأجفلهم الناس عنه، فخلوا عنهم وانطلقوا إلى أخيهم. ونزل يزيد دار مسلم بن زياد إلى جنب القصر، وتسؤر القصر بالسلالم وفتحه، واتى بعدي بن أرطاة فحبسه. وهرب رؤس

البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر إلى الكوفة والشام. وخرج المغيرة بن زياد بن عمر العتكي إلى الشام، فلقي خالدا القسري وعمر بن يزيد، وقد جاؤوا بأمان يزيد بن المهلب مع حميد ابن أخيه فأخبرهما بظهور يزيد على البصرة، وحبسه عدياً، فرجعا إلى وعد لهما فلم يقبلا، فقبض عَبْد الحميد بن عَبْد الرحمن بالكوفة على خالد بن يزيد بن المهلب وحماد بن ذخر وحملهما وسيرهما الى الشام، فحبسهما يزيد حتى هلكا بالسجن. وبعث يزيد بن عَبْد الملك إلى أهل الكوفة يثني عليهم ويمنيهم الزيادة، وجهز أخاه مسلمة وابن أخيه العبّاس بن الوليد إلى العراق في سبعين ألف مقاتل أو ثمانين من أهل الشام والجزيرة، فقدموا الكوفة ونزلوا النخيلة. وتكلم العباس يوماً ببعض الكلام فأساء عليه حيان النبطي بالكشة الأعجمية. ولما سمع ابن المهلب بوصول مسلمة وأهل الشام فخطب الناس وشجعهم للقائهم وهون عليهم أمرهم، وأخبرهم أن أكثرهم له. واستوثق له أهل البصرة وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان. وبعث إلى خراسان مدرك بن المهلب وعليها عَبْد الرحمن بن نعيم، وبعث بنو تميم ليمنعوه. ولقيه الأزد على رأس المغارة فقالوا ارجع عنا حتى نرى مآل أمركم. ثم خطب يزيد الناس يدعوهم إلى الكتاب والسنة ويحثهم على الجهاد، وأن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم، ونكر ذلك الحسن البصري والنضر بن أنس بن مالك، وتابعهما الناس في النكير.

وسار يزيد من البصرة إلى واسط واستخلف عليها أخاه مروان بن المهلب. وأقام بواسط أياماً، ثم خرج منها سنة اثنتين ومائة، واستخلف عليها أمان معونة. وقدم أخاه عَبْد الملك بن المهلب نحو الكوفة، فاستقبله ابن الوليد بسور له، فاقتتلوا وانهزم عَبْد الملك، وعاد إلى يزيد. وأقبل مسلمة على شاطىء الفرات إلى الأنهار فعقد الجسر وعبر وسار، حتى نزل على يزيد بن المهلب، وفزع إليه ناس من أهل الكوفة، وكان عساكره مائة وعشرين. وكان عَبْد الحميد بن عَبْد الرحمن قد عسكر بالنخيلة، وشق المياه وجعل الأرصاد على أهل الكوفة أن يغزعوا إلى يزيد بن المهلب، وبعث بعثاً إلى مسلمة مع صبرة بن عَبْد الرحمن بن مختف، فعزل مسلمة بن عَبْد الحميد عن الكوفة، واستعمل عليها محمد بن عمر بن الوليد بن عقبة. ثم أراد يزيد بن المهلب أن يبعث أخاه محمدا بالعساكر يبيتون مسلمة، فأبى عليه أصحابه وقالوا قد وعدناهم بالكتاب والسنة ووعدوا بالإجابة فلا نغدرهم. فقال يزبد: ويحكم تصدقونهم، إنهم

يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم إليه، والله ما في بني مروان أمكر ولا أبعد غوراً من هذه الجرادة الصغرى يعني مسلمة. وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحث الناس على اللحاق بيزيد أخيه والحسن البصري يثبطهم ويتهدده فلم يكف. ثم طلب الذين يجتمعون إليه فافترقوا، فأقام مسلمة بن عَبْد الملك يطاول يزبد بن المهلب ثمانية أيام. ثم خرج يوم الجمعة منتصف صفر فعبى أصحابه، وعبى العباس بن الوليد كذلك، والتقوا واشتد القتال، وأمر مسلمة فأحرق الجسر فسطع دخانه. فلما رآه أصحاب يزيد انهزموا، واعترضهم يزيد يضرب في وجوههم حتى كثروا عليه، فرجع وترجّل في أصحابه. وقيل له قتل أخوك حبيب، فقال لا خير في العيش بعده ولا بعد الهزيمة. ثم استمات ودلف إلى مسلمة لا يريد غيره، فعطف عليه أهل الشام فقتلوه هو وأصحابه، وفيهم أخوه محمد. وبعث مسلمة برأسه إلى يزيد بن عَبْد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة. وقيل: إن الذي قتله الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابئ، وأنف أن ينزل فيأخذ رأسه فأخذه غيره. وكان المفضل لن المهلب يقاتل في ناحية المعترك، وما علم اهـ بقتل يزيد، فبقي ساعة كذلك يكر ويفرحتى اخبربقتل إخوته، فافترق الناس عنه ومضى إلى واسط. وجاء أهل الشام إلى عسكر يزيد فقاتلهم أبو رؤبة رأس الطائفة المرجئة ومعه جماعة من صدق، فقاتلوا ساعة من النهار ثم انصرفوا. وأسر مسلمة ثلثمائة أسير حبسهم في الكوفة. وجاء كتاب يزيد إلى محمد بن عمر بن الوليد بقتلهم، فأمر العريان بن الهيثم صاحب الشرطة بذلك، وبدأ بثمانين من بني تميم فقتلهم. ثم جاء كتاب يزيد بإعفائهم فتركهم. وأقبل مسلمة فنزل الحيرة، وجاء الخبر بقتل يزيد إلى واسط، فقتل ابنه معاوية عديّ بن أرطاة ومحمدا ابنه ومالكاً وعبد الملك ابنا مسمع في ثلاثين، ورجع إلى البصرة بالمال والخزائن. واجتمع بعمه المفضل وأهل بيتهم، وتجهزوا للركوب في البحر، وركبوا إلى قنداييل وبها وداع بن حميد الأسدي، ولاه عليها يزيد بن المهلب ملجأ لأهل بيته إن وقع بهم ذلك، فركبوا البحر بعيالهم وأموالهم إلى جبال كرمان فنزلوا بها، واجتمع إليه الفل من كل جانب. وبعث مسلمة مدرك بن ضب الكلبى في طلبهم فقاتلهم، وقتل من أصحاب المفضل النعمان بن إبراهيم، ومحمد بن إسحق بن محمد بن الأشعث وأسر ابن صول قهستان. وهرب عثمان بن إسحق بن محمد الأشعث، فقتل وحمل رأسه إلى مسلمه بالحيرة. ورجع ناس من أصحاب بني المهلب فاستأمنوا، وأمنهم مسلمة منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر والورد

بن عَبْد الله بن حبيب السعدي التميمي. ومضى إلى آل المهلب ومن معهم بقندابيل، فمنعهم وداع بن حميد من دخولها، وخرج معهم لقتال عدوهم. وكان مسلمة قد رد مدرك بن ضبّ بعد هزيمتهم في جبال كرمان، وبعث في أثرهم هلال بن أحور التميمي فلحقهم بقندابيل، فتبعوا لقتاله. ! وبعث هلال راية أمان، فمال إليه وداع بن حميد، وعبد الله بن هلال، وافترق الناس عن آل المهلب. ثم استقدموا فاستأمنوا فقتلهم عن اخرهم: المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب، ومعاوية بن يزيد بن المهلب، والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب، وعمر بن يزيد بن المهلب، وعثمان بن المفضل بن المهلب برتبيل ملك الترك. وبعث هلال بن أحوز برؤوسهم وسبيهم وأسراهم إلى مسلمة بالحيرة، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عَبْد الملك، فسيرهم يزيد إلى العباس بن الوليد في حلب، فنصب الرؤوس. وأراد مسلمة أن يبتاع الذرية فاشتراهم الجراح بن عَبْد الله الحكيمي بمائة ألف وخلى سبيلهم. ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيئاً. ولما قدم بالأسرى على يزيد بن عَبْد الملك وكانوا ثلاثة عشرأمريزيد فقتلوا وكلهم من ولد المهلب، واستأمنت هند بنت المهلب لأخيها عيينة إلى يزيد بن عَبْد الملك فأمنه، وأقام عمرو وعثمان عند رتبيل حتى أمنهما أسد بن عَبْد الله القسري وقدما عليه بخرا سان.

ولاية مسلمة علي العراق وخراسان:

ولما فرغ مسلمة بن عَبْد الملك من حرب بني المهلب ولأه يزيد بن عَبْد الملك على العراق وجمع له ولاية البصرة والكوفة وخراسان، فأقر على الكوفة محمد بن عمر بن الوليد، وكان قد قام بأمر البصرة بعد بني المهلب شبيب بن الحارث التميمي، فبعث عليها مسلمة عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى شرطتها عمر بن يزيد التميمي. وأراد عَبْد الرحمن أن يقتل شيعة ابن المهلب بالبصرة، فعزله وولى على البصرة عَبْد الملك بن بشر بن مروان. وأقر عمر بن يزيد على الشرطة. واستعمل مسلمة على خراسان صهره على سعيد بن عَبْد العزيزبن الحارث بن الحكم بن أبي العباس

ويلقب سعيد خدينة. دخل عليه بعض العرب بخراسان وعليه ثياب مصبغة، وحوله مرافق مصبغة. وسئل عنه لمّا خرج فقال: خدينة، وهي الدهقانة ربة البيت. ولما ولاه على خراسان، سار إليها فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند. فسار إليها وقدم الصغد، وكان أهلها كفروا أيام عَبْد الرحمن بن نعيم، ثم عادوا إلى الصلح. فوبخ ساكنها من العرب وغيرهم بالجبن، فاعتذروا بأمر أميرهم علي بن حبيب العبدي. ثم حبس سعيد عمال عَبْد الرحمن بن عَبْد الله وأطلقهم، ثم حبس عمال يزيد بن المهلب، رفع لهم أنهم اختانوا الأموال فعذبهم، فمات بعضهم في العذاب، وبقي بعضهم في السجن حتى غزاهم الترك والصغد فأطلقهم.

العهد لهشام بن عَبْد الملك والوليد بن يزيد:

لمّا بعث يزيد بن عَبْد الملك الجيوش إلى يزيد بن المهلب مع مسلمة أخيه والعباس بن أخيه الوليد قال له العباس: إنا نخاف أن يرجف أهل العراق بموتك، ويبث ذلك في أعضادنا، وأشار عليه بالعهد لعبد العزيز أخيه ابن الوليد، وبلغ ذلك مسلمة فجاءه وقال: أخوك أحق فإن ابنك لم يبلغ، وأشار عليه بأخيه هشام وابنه الوليد من بعده، والوليد ابن إحدى عشرة سنة فبايع لهما كذلك. ثم بلغ ابنه الوليد فكان إذا رآه يقول: الله ببني وبين من قدم هشاماً عليك.

غزوة الترك:

لمّا ولى سعيد خراسان استضعفه الناس وسموه خدينة، واستعمل شعبة على شمرقند ثم عزله كما مر، وولّى مكانه عثمان بن عَبْد الله بن مطرف بن الشخير فطمعت الترك، وبعثهم خاقان إلى الصغد، وعلى الترك كورصول وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي وفيه مائة أهل بيت بذراريهم، وكتبوا إلى عثمان بسمرقند وخافوا أن يبطىء المدد، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة. وندب عثمان الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحي ومعه أربعة آلاف من سائر القبائل. فقال لهم المسيب من أراد الغزو والصبر على الموت فليتقدم! فرجع عنه ألف، وقالها بعد فرسخ فرجع ألف ألف آخر، ثم أعادها ثالثة بعد فرسخ فاعتزله ألف. وسار حتى كان

على فرسخين من العدو، فأخبره بعض الدهاقين بقتل الرهائن وميعادهم غداً. وقال أصحابي ثلثمائة مقاتل وهم معكم، فبعث المسيب إلى القصر رجلين عجميأ وعربياً يأتيانه بالخبر، فجاؤوا في ليلة مظلمة، وقد أجرت الترك الماء بدائر القصر لئلا يصل إليه أحد، فصاح بهما فقالا له اسكت وادع لنا فلاناً. فأعلماه قرب العسكر وسألا هل عندكم امتناع غداً؟ فقال لهما نحن مستميتون. فرجعا إلى المسيب فأخبراه، فعزم على تبييت الترك، وبايعه أصحابه على الموت، وساروا يومهم إلى الليل. ولما أمسى حثهم على الصبر وقال: ليكن شعاركم يا محمد، ولا تتبعوا مولياً، واعقروا الدواب فإنه أشد عليهم، وليست بكم قفة فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنته، وإن كثر أهله. ثم دنوا من العسكر في السحر، وثار الترك وخالطهم المسلمون، وعقروا الدواب وترجل المسيب في أصحاب له فقاتلوا قتالاً شديداً، وقتل عظيم من عظماء الترك فانهزموا. ونادى منادي المسيب لا تتبعوهم، واقصدوا القصر واحملوا من فيه، ولا تحملوا من متاعهم إلا المال. ومن حمل امرأة أو صبئا أو ضعيفاً حسبة فأجره على الله، وإلا فله أربعون درهماً. وحملوا من في القصر إلى سمرقند، ورجع الترك من الغد فلم يروا في القصر أحداً. ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤونا بالأمس.

غزو الصغد:

ولما كان من انتقاض الصغد وإعانتهم الترك على المسلمين ما ذكرنا، تجهزسعيد لغزوهم وعبر النهر، فلقيه الترك وطائفة من الصغد، فهزمهم المسلمون. ونهاهم سعيد عن أتباعهم، وقال: هم جباية أمير المؤمنين فانكفوا عنهم. ثم سار المسلمون إلى واد بينهم وبين المرج، فقطعه بعض العسكر وقد أكمن لهم الترك، فخرجوا عليهم. وانهزم المسلمون إلى الوادي، وقيل بل كان المنهزمون مسلحة للمسلمين. وكان فيمن قتل شعبة ان ظهر في خمسين رجلاً وجاء الأمير والناس فانهزم العدو. وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا وسبوا رد السبي وعاقب السرية، فثقل سعيد على الناس وضعفوه. ولما رجع من هذه الغزاة وكان سورة بن الأبجر قد قال لحّيان النبطيّ يوم أمر سعيد بالكف عن الصُغْد وأنهم جباية أمير المؤمنين. فقال: سورة إرجع عنهم يا حيّان، فقال: عقيرة

الله لا أدعها، فقال: انصرف يا نبطيّ قال أنبط الله وجهك. فحقدها عليه سورة وأغرى به سعيد خـدينة وقال: إنه أفسد خراسان على قتيبة، ويثب عليك ويتحصن ببعض القلاع. فقال له سعيد لا يسمع هذا منك أحد، ثم حاول عليه وسقاه لبناً قد ألقى فيه ذهباً مسحوقا. ثم ركض والناس معه أربعة فراسخ، فعاش حيّان من بعدها ليالى قلائل ومات.

ولاية ابن هبيرة علي العراق وخراسان:

كان مسلمة لمّا ولي على هذه الأعمال لم يدفع من الخراج شيئاً، واستحيا يزيدة من عزله، فكتب إليه بالقدوم وأن يستخلف على عمله. وسار لذلك سنة ثلاث وأربعمائة، فلقيه عمر بن هبيرة بالطريق على دواب البريد وقال: وجهني أمير المؤمنين لحيازة أموال بني المهلب، فارتاب لذلك، وقال له بعض أصحابه: كيف يبعث ابن هبيره من عند الجزيرة لمثل هذا الغرض؟ ثم أتاه أن ابن هبيرة عزل عماله. وكان عمر بن هبيرة من النجابة بمكان، وكان الحجّاج يبعثه في البعوث، وهو ممن سار لقتال مطرف بن المغيرة حين خلع، ويقال إنه الذي قتله وجاء برأسه. فسيره الحجّاج إلى عَبْد الملك فأقطعه قرية قريبة من دمشق، ثم بعثه إلى كروم ابن مرثد الفزاري ليخلص منه مالاً، فارتاب وأخذ المال ولحق بعبد الملك عائدا به من الحجّاج. وقال قتلت ابن عمه ولست آمنه على نفسي، فأجاره عَبْد الملك، وكتب الحجّاج إليه فيه. فقال أمسك عنه، وعظّم شأنه عَبْد الملك وبنوه واستعمله عمر بن عَبْد العزيز على الروم من ناحية أرمينية، وأثخن فيهم وأسر سبعمائة منهم وقتلهم. واستخدم أيام يزيد لمحبوبته حبابة، فسعت له في ولاية العراق، فولاه يزيد مكان أخيه مسلمه. ولمّا ولي قدم عليه المجشر بن مزاحم السلمي وعبد الله بن عمر الليثي في وفد، فشكوا من سعيد وحذيفة عاملهم، وهو صهر مسلمة، فعزله وولى مكانه على خراسان سعيد بن عمر الخريشي من بني الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فسار خدينة عن خراسان، وقدم سعيد فلم يعرض لعماله. ولما قدم على خراسان كان الناس بإزاء العدو، وقد نكثوا فحثهم على الجهاد، وخاف الصغد منه بما كانوا أعانوا الترك أيام حذيفة، فقال لهم ملكهم: احملوا له خراج ما مضى، واضمنوا خراج ما يأتي

والعمارة والغزو معه، وأعطوه الرهن بذلك. فأبوا إلاّ أن يستجيروا بملك فرغانة وخرجوا من بلادهم إلى خجندة وسألوا الجوار وأن ينزلوا شعب عصام. فقال: أمهلونا عشرين يوماً أو أربعين لنخليه لكم، وليس لكم علي جوار قبل دخولكم إياه. ثم غزاهم الحريش سنة أربع ومائة، فقطع النهر وترك قصر الريح على فرسخين من الدنوسية، وأتاه ابن عم ملك فرغانة يغريه بأهل الصغد وأنهم بخجندة، ولم يدخلوا جواره بعد، فبعث معه عَبْد الرحمن القسري فى عسكر، وجاء في أثره حتى نزلوا على خجندة، وخرج أهل صغد لقتالهم فانهزموا، وقد كانوا حفروا خندقاً وغطوه بالتراب ليسقط فيه المسلمون عند القتال، فلما انهزموا ذلك اليوم أخطأهم الطريق وأسقطهم الله في ذلك الخندق. ثم حاصرهم الحريشي ونصب عليهم المجانيق، وأرسلوا إلى ملك فرغانة ليجيرهم. فقال قد شرت عليكم أن لا جوار قبل الأجل الذي بيني وبينكم. فسألوا الصلح من الحريشي على أن يردوا ما في أيديهم من سبي العرب، ويعطوا ما كسرمن الخراج ولا يتخلف أحد منهم بخجندة وإن أحدثوا حدثاً استبيحت دماؤهم. فقبل منهم وخرجوا من بخجندة، ونزلوا في العسكر على كل من يعرفه. وبلغ الحريشي أنهم قتلوا امرأة فقتل قاتلها، فخرج قبيل منهم فاعترض الناس وقتل جماعة. وقتل الصغد من أسرى المسلمين مائة وخمسين، ولقي الناس منهم عنفاً، ثم أحاطوا بهم وهم يقاتلون بالخشب ليس لهم سلاح، فقاتلوا عن آخرهم ثلاثة آلاف أو سبعة آلاف. وكتب الحريشي إلى يزيد بن عَبْد الملك ولم يكتب لعمر بن هبيرة، فأحفظه ذلك ثم سرح الحريشي سليمان بن أبي السرى إلى حصن يطيف به وراء الصغد ومعه خوارزم شاه وملك أجرون وسومان، فسار سليمان وعلى مقدمته المسيب بن بشر الرياحي، ولقيه أهل الحصن فهزمهم ثم حاصرهم، فسألوا الصلح على أن لا يعرض لسبيهم ويسلموا القلعة بما فيها فقبل، وبعث إلى الحريشي فقبضه، وبعث من قبضه. وسار الحريشي إلى كش فصالحوه على عشرة آلاف رأس وولى نصر بن سيار على قبضها. واستعمل على كش ونسف حرباً وخراجاً سليمان بن السرى واستنزل مكانه آخر اسمه قشقري من حصنه على الأمان وجاء به إلى مرو فشنقه وصلبه.

ولاية الجراح علي أرمينية وفتح بلنجر:

ولما سار ابن هبيرة على الجزيرة وأرمينية تشبب البهراني، فحفل لهم الخزر وهم التركمان، واستجاشوا بالقفجاق وغيرهم من أنواع الترك ولقوا المسلمين بمرج الحجارة، فهزموهم، واحتوى التركمان على عسكرهم وغنموا ما فيه. وقدم المنهزمون على يزيد بن عَبْد الملك، فولى على أرمينية الجراح بن عَبْد الله الحكمي وأمده بجيش كثيف، وسار لغزو الخزر فعادوا للباب والأبواب. ونزل الجراح بردعة فأراح بها قليلاً ثم سار نحوهم وعبر نهر الكر، وأشاع الإقامة ليرجع بذلك عيونهم إليهم. ثم أسرى من ليلته وأجد السير إلى مدينة الباب، فدخلها وبث السرايا للنهب والغارة. وزحف إليه التركمان وعليهم ابن ملكهم، فلقيهم عند نهر الزمان واشتد القتال بينهم، ثم انهزم التركمان وكثر القتل فيهم، وغنم المسلمون ما معهم، وساروا حتى نزلوا على الحصن، ونزل أهلها على الأمان فقتلهم. ثم سار إلى مدينة برغوا فحاصرها ستة أيام، ثم نزلوا على الأمان فقتلهم، ثم ساروا إلى بلنجر، وقاتلهم التركمان دونها فانهزموا وافتتح الحصن عنوة. وغنم المسلمون جميع ما فيه. فأصاب ألفأَرس ثلاثمائة دينار، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً. ثم إن الجراح رجع حصن بلنجر إلى صاحبه، ورد عليه أهله وماله، على أن يكون عيناً للمسلمين على الكفار. ثم نزل على حصن الوبيد وكان به أربعون ألف بيت من الترك، فصالحوا الجراح على مال أعطوه إياه. ثم تجمع الترك والتركمان وأخذوا الطرق على المسلمين، فأقام في رستاق سبى وكتب إلى يزيد بالفتح وطلب المدد، وكان ذلك آخر عمر يزيد. وبعث هشام بعد ذلك إليه بالمدد وأقره على العمل.

ولاية عَبْد الواحد القسري علم المدينة ومكة:

كان عَبْد الرحمن بن الضحّاك عاملاً على الحجاز منذ أيام عمر بن عَبْد العزيز، وأقام عليها ثلاث سنين ثم حدثته نفسه خطبة فاطمة بنت الحسين فامتنعت، فهددها بأن يجلد ابنها في الخمر، وهو عَبْد الله بن الحسين المثنى، وكان على ديوان المدينة عامل من أهل الشام يسمى ابن هرمز. ولما رفع حسابه وأراد السير إلى يزيد، جاء ليودع فاطمة، فقالت اخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرض لي. ثم بعث

رسولها بكتابها إلى يزيد يخبره. وقدم ابن هرمز على يزيد، فبينما هو يحدثه عن المدينة قال الحاجب: بالباب رسول فاطمة بنت الحسين، فذكر ابن هرمز ما حملته. فنزل عن فراشه وقال: عندك مثل هذا وما تخبرني به؟ فاعتذر بالنسيان. فأدخل يزيد الرسول وقرأ الكتاب، وجعل ينكث الأرض بخيزرانة ويقول: لقد اجترأ ابن الضحاك، هل من رجل يسمعني صوته في العذاب؟ قيل له عَبْد الواحد بن عَبْد الله القسري. فكتب إليه بيده: قد وليتك المدينة، فانهض إليها واعزل ابن الضحّاك

وغرمه أربعين ألف دينار، وعذبه حتى أسمع وأنا على فراشي. وجاء البريد بالكتاب إليه، ولم يدخل على ابن الضحّاك، فأحضر البريد ودس إليه بألف دينار لأخبره الخبر، فسار ابن الضحّاك إلى مسلمة بن عَبْد الملك واستجار به، وسأل مسلمة في يزيد. فقال والله لا أعفيه أبداً. فرده مسلمة إلى عَبْد الواحد بالمدينة فعذبه ولقي شراً، ولبس جبة صوف يسأل الناس، وكان قد آذى الأنصار فذموه، وكان قدوم القسري في شوال سنة أربع ومائة، وأحسن السيرة فأحبه الناس، وكان يستشير القاسم بن محمد وسالم بن عَبْد الله.

عزل الحريشي وولاية مسلم الكلبي علي خراسان:

كان سعيد الحريشي عاملاً على خراسان لابن هبيرة كما ذكرنا، وكان يستخف به ويكاتب الخليفة دونه، ويكنيه أبا المثنى. وبعث من عيونه من يأتيه بخبره، فبلغه أعظم مما سمع، فعزله وعذبه حتى أدى الأموال، وعزم على قتله ثم كف عنه. وولّى ابن هبيرة على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي، ولما جاء إلى خراسان حبسه وقيده وعذبه كما قلنا. فلما هرب ابن هبيرة بعد ذلك عن العراق أرسل خالد القسري في طلبه الخريشي فأدركه على الفرات. وقال لابن هبيرة ما ظنك بي؟ قال إنك لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجل من قسر. قال هو ذاك ثم انصرف وتركه.

وفاة يزيد وبيعة هشام:

ثم توفي يزيد بن عَبْد الملك في شعبان سنة خمس ومائة لأربع سنين من خلافتة، وولّى بعده أخوه هشام بعهده إليه بذلك كما مر، وكان بحمص فجاءه الخبر بذلك، فعزل عمر بن هبيرة عن العراق وولّى مكانه خالد بن عَبْد الله القسري فسار إلى العراق من يومه.

غزو مسلم الترك:

غزا مسلم بن سعيد الترك سنة خمسة ومائة، فعبر النهر وعاث في بلادهم ولم يفتح شيئاً، وقفل فأتبعه الترك ولحقوه على النهر، فعبر بالناس ولم ينالوا منه. ثم غزا بقية السنة وحاصرأفشين حتى صالحوه على ستة آلاف رأس، ثم دفعوا إليه القلعة. ثم غزا سنة ست ومائة، وتباطأ عنه الناس، وكان ممن تباطأ البختري بن درهم فرد مسلم نصر بن سيار إلى بلخ وأمره أن يخرج الناس إليه، وعلى بلخ عمر بن قتيبة أخو مسلم، فجاء نصر وأحرق باب البختري وزياد بن طريف الباهلي. ثم منعهم عمر من دخول بلخ، وقد قطع سعيد النهر، ونزل نصر بن سيار البروقان، وأتى جند الضلاضيان، وتجمعت ربيعة والأزد بالبروقان على نصف فرسخ من نصر، وخرجت مضر إلى نصر، وخرج عمر بن مسلم إلى ربيعة والأزد وتوافقوا، وسفر الناس بينهما في الصلح، وانصرف نصر. ثم حمل البختري وعمر بن مسلم على نصر، فكرعليهم فقتل منهم ثمانية عشر وهزمهم، وأتى بعمر بن مسلم والبختري وزياد بن طريف فضربهم مائة مائة، وحلق رؤوسهم ولحاهم وألبسهم المسوح. وقيل إن سبب تعزير عمر بن مسلم انهزام تميم عنه، وقيل انهزام ربيعة والأزد، ثم أمنهم نصر بعد ذلك وأمرهم أن يلحقوا بمسلم بن سعيد. ولما قطع مسلم النهر ولحقه من لحق من أصحابه، سار إلى بخارى فلحقه بها كتاب خالد بن عَبْد الله القسري بولايته وبأمره بإتمام غزاته، فسار إلى فرغانة وبلغه أن خاقان قد أقبل إليه، فارتحل. ولحقه خاقان بعد ثلاثة مراحل لقي فيها طائفة من المسلمين فأصابهم. ثم أطاف بالعسكر وقاتل المسلمين، وقتل المسيب بن بشر الرياحي والبراء من فرسان المهلب وأخو غورك. وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر. ورحل مسلم بالناس ثمانية أيام، والترك مطيفون بهم بعد أن أمر بإحراق ما ثقل من الأمتعة، فأحرقوا ما قيمته ألف ألف. وأصبحوا في التاسع قريب النهر دونه أهل فرغانة والشاش. فأمر مسلم الناس أن يخرطوا سيوفهم ويحملوا. فأفرج أهل فرغانة والشاش عن النهر، ونزل مسلم بعسكره ثم عبر من الغد وأتبعهم ابن خاقان. فكان حميد بن عَبْد الله على الساقة من وراء النهر وهو مثخن بالجراحة. فبعث إلى مسلم بالانتظار، وعطف على الترك فقاتلهم، وأسر قائدهم وقائد الصغد ثم أصابه سهم فمات، وأتوا خجندة وقد أصابتهم مجاعة وجهد، ولقيهم هنالك كتاب

أسد بن عَبْد الله القسري أخي خالد بولايته على خراسان واستخلافه عَبْد الرحمن بن نعيم، فقرأ مسلم الكتاب وقال سمعاً وطاعة.

ولاية أسد القسري علي خراسان:

ولما كزا خالد بن عَبْد الله خراسان واستخلف عليها أخاه أسد بن عَبْد الله، فقدم ومسلم بن سعيد بفرغانة، فلما رجع وأتى النهر ليقطعه منعه الأشهب بن عَبْد الله التميمي، وكان على السفن بآمد، حتى عرفه أنه الأمير، فأذن له. ثم عبر أسد النهر ونزل بالمرج وعلى سمرقند هانىء، بن هانىء، فخرج بالناس وتلقى أسداً وأدخله سمرقند. وبعث أسد إلى عَبْد الرحمن بن نعيم بالولاية على العسكر، فقفل بالناس إلى سمرقند، ثم عزل أسداً عنها وولى مكانه الحسن بن أبي العمرطة الكندي. ثم قدم مسلم بن سعيد بن عَبْد الله بخراسان، فكان يكرمه. ومر بابن هبيرة وهو يروم الهرب وأسلم على يديه. ثم غزا الغور وهي جبال هراة. فوضع أهلها أثقالهم في الكهوف ولم يكن إليهم طريق. فاتخذ التوابيت ووضع فيها الرجال ودلآها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه. ثم قطع كماق النهر، وجاءه خاقان ولم يكن بينهما قتال. وقيل عاد مهزوماً من الجسر ثم سار إلى عوبرين وقاتلها، وأبلى نصر بن سيار ومسلم بن أحوز، وانهزم المشركون، وحوى المسلمون عساكرهم بما فيه.

ولاية أشرس علي العراق:

كان أسد بن عَبْد الله في ولايته على خراسان يتعصب، حتى أفسد الناس. وضرب نصر بن سّيار بالسياط، وعبد الرحمن بن نعيم، وسورة بن أبجر والبختري بن أبي درهم، وعامر بن مالك الحماني وحلقهم وسّيرهم إلى أخيه، وكتب إليه أنهم أرادوا الوثوب بي. فلامه خالد وعنّفه وقال: هلا بعثت برؤوسهم؟ وخطب أسد يوماً فلعن أهل خراسان. فكتب هشام بن عَبْد الملك إلى خالد اعزل أخاك، فعزله في رمضان سنة تسع، وولّى مكانه الحكم بن عوانة الكلبي، فقعد عن الصائفة تلك السنة. فاستعمل هشام على خراسان أشرس بن عَبْد الله السلمي، وأمره أن يراجع خالداً فكان خيرا ففرح به أهل خراسان.

عزل أشرس:

أرسل أشرس إلى سمرقند سنة عشر ومائة أبا الصيدا صالح بن ظريف مولى بني ضبة، والربيع بن عمران التميمي إلى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم إلى الإِسلام، على أن توضع عنهم الجزية، وعليها الحسن بن العمرطة الكندي، على حربها وخراجها فدعاهم إلى ذلك وأسلموا. وكتب غورك إلى الأشرس أن الجراح قد انكسر، فكتب أشرس إلى ابن العمرطة بلغني أنذ أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة، وإنما أسلموا نفوراً من الجزية، فانظر من اختتن وأقام الفرائض، وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه. ثم عزل ابن العمرطة عن الخراج وولى عليها ابن هانىء، ومنعهم أبو الصيد أخذ الجزية ممن أسلم، وكتب هانىء إلى أشرس بأنهم أسلموا وبنوا المساجد. فكتب إليه والى العمال أن يعيدوا الجزية على من كانت عليه ولو أسلم، فامتنعوا واعتزلوا في سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند. وخرج معهم أبو الصيد وربيع بن عمران والهيثم الشيباني وأبو فاطمة الأزدي وعامر بن قشير وبشير الجحدري وبيان العنبري وإسماعيل بن عقبة لينصروهم. وبلغ الخبر إلى أشرس فعزل ابن العمرطة عن الحرب وولى مكانه المجشر بن مزاحم السلمي وعميرة بن سعد الشيباني، فكتب المجشر إلى أبي الصيدا يستقدمه هو وأصحابه فقدم ومعه ثابت قطنة فحبسهما وسيرهما إلى أشرس، واجتمع الباتون وولّوا عليهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئاً فكتب أشرس ووضع عنهم الخراج فرجعوا وضعف أمرهم وتتبعوا فحبسوا كلهم. وألح هانىء في الخراج، واستخف بفعل العجم والدهاقين. واقيموا في العقوبات وحرقت ثيابهم، والقيت مناطقهم في أعناقهم، واخذت الجزية ممن أسلم. فكفرت الصغد وبخارى واستجاشوا بالترك، وخرج أشرس غازياً فنزل آمد وأقام أشهرا. وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم في عشرة آلاف فعبر النهر ولقي الترك وأهل الصغد وبخارى ومعهم خاقان، فحصروا قطناً في خندقه. وأغار الترك على سرح المسلمين، وأطلق أشرس ثابت قطنة بكفالة عَبْد الله بن بسطام بن مسعود بن عمر، وبعثه معه في خيل، فاستقدمه من أيدي الترك ما أخذوه. ثم عبر أشرس بالناس ولحق بقطن ولقيهم العدو فانهزموا أمامهم. وسار أشرس بالناس حتى جاء بيكند فحاصرها المسلمون، وقطع أهل البلد عنهم الماء، وأصابهم العطش فرحلوا إلى المدينة.

واعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالاً شديداً، وأبلى الحارث بن شريح، وقطن بن قتيبة بلاء شديداً وأزالوا الترك عن الماء. فقتل يومئذ ثابت قطنة وصخربن مسلم بن النعمان العبدي، وعبد الملك بن دثار الباهلي وغيرهم وحمل قطن بن قتيبة في جماعة تعاقدوا على الموت، فانهزم العدو واتبعهم المسلمون يقتلونهم إلى الليل. ثم رجع أشرس إلى بخارى وجهز عليهم عسكراً، يحاصرونها، وعليهم الحارث بن شريح الأزدي. ثم حاصر خاقان مدينة كمرجة من خراسان وبها جمع من المسلمين، وقطعوا القنطرة وأتاهم ابن جسر وابن يزدجرد وقال: إن خاقان جاء يرد علي منكبي وأنا آخذ لكم الأمان، فشتموه وأتاهم يزغري في مائتين، وكان داهية، وكان خاقان لا يخالفه. فطلب رجلاً يكلمه، فجاء يزيد بن سعد الباهلي فرغبه بإضعاف. العطاء والإحسان على النزول، وشميرون معهم، فلاطفه ورجع إلى أصحابه، وقال هؤلاء يدعونكم لقتال المسلمين، فأبوا وأمر خاقان فآلقى الحطب الرطب في الخندق ليقطعه. وألقى المسلمون البهائم ليأكلوها ويحشوا جلودها تراباً ويملؤا بها الخندق. وأرسل الله سبحانه فاحتمل السيل ما في الخندق إلى النهر الأعظم، ورمى المسلمون بالسهام فاصيب يزغري بسهم ومات من ليلته، فقتلوا جميع ما عندهم من الأسرى والرهن. ولم يزالوا كذلك حتى نزلت جيوش المسلمين فرغانة، فجردوا عليهم واشتد قتالهم، وصالحهم المسلمون على أن يسلموا لهم كمرجة ويرحلوا عليها إلى سمرقند والدنوسية، وتراهنوا على ذلك. وتأخر خاقان حتى يخرجوا، وخلف معهم كورصول ليبلغهم إلى مأمنهم، فارتحلوا حتى بلغوا الدنوسية. وأطلقوا الرهن وكانت مدة الحصار ستين يوماً.

عزل أشرس عن خراسان وولاية الجنيد:

وفي سنة إحدى عشرة ومائة عزل هشام أشرس بن عَبْد الله عن خراسان، وولى مكانه الجنيد بن عَبْد الرحمن بن عمر بن الحارث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري، أهدى إلى ام حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جواهر، فأعجبت هشاماً فأهدى له أخرى مثلها، فولاه خراسان وحمله على البريد. فقدم خراسان في خمسمائة، ووجد الخطاب بن محرز السلمي خليفة أشرس على خراسان. فسار الجنيد إلى ما وراء النهر ومعه الخطاب، واستخلف على مرو المجشر بن فزاحم

السلمي وعلى بلخ سورة بن أبجر التميمي، وبعث إلى أشرس وهو يقاتل أهل بخارى والصغد أن يبعث إليه بسرية مخافة أن يعترضه العدو. فبعث إليه أشرس عامر بن مالك الجابي، فعرض له الترك والصغد فقاتلوهم ثم استداروا وراء معسكر الترك وحمل المسلمون عليهم من أمامهم، فانهزم الترك ولحق عامر بالجنيد، فأقبل معه وعلى مقدمته عمارة بن حزيم، واعترضه الترك فهزمهم. وزحف إليه خاقان بنواحي سمرقند وقطن بن قتيبة على ساقته، فهزم خاقان وأسر ابن أخيه وبعث به إلى هشام، ورجع إلى مرو ظافراً، واستعمل قطن بن قتيبة على بخارى، والوليد بن القعقاع العبسي على هراة، وحبيب بن مرة العبسي على شرطته، ومسلم بن عَبْد الرحمن الباهلي على بلخ وعليها نصربن سيار. فبعث مسلم إلى نصر وجيء به في قميص دون سراويل، فقال شيخ مضر جئتم به على هذه الحالة؟ فعزل الجنيد مسلماً عن بلخ وأوفد وفداً إلى هشام بخبر غزاته.

مقتل الجرّاح الحكمي:

قد كان تقدّم لنا دخوله إلى بلاد الخزر سنة أربع ومائة، وانهزامهم أمامه، وأنه أثخن فيهم وملك بلنجر وردها على صاحبها، وأدركه الشتاء فأقام هنالك. وأن هشاماً أقره على عمله ثم ولأه أرمينية، فدخل بلاد التركمان من ناحية تفليس سنة إحدى عشرة ففتح مدينتهم البيضاء وانصرف ظافراً، فاجتمع الخزر والترك من ناحية اللاف، وزحف إليهم الجراح سنة اثنتي عشرة، ولقيهم بمرج أردبيل، فاقتلوا أشد قتال. وتكاثر العدو عليه فاستشهد ومن معه، وقد كان استخلف أخاه الحجّاج على أرمينية. ولما قتل طمع الخزر وهم التركمان، وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل، وقيل كان قتله ببلنجر. ولما بلغ الخبر هشاماً دعا سعيداً الحريشي فقال: بلغني أن الجراح انهزم. قال الجراح أعرف بالله من أن ينهزم، لكن قتل، فابعثني على أربعين من دواب البريد، وابعث إلي كل يوم أربعين رجلاً مدداً، واكتب إلى الأمراء الأجناد يواسوني. ففعل وسار الحريشي، فلا يمر بمدينة إلا ويستنهض أهلها فيجيبه من أراد الجهاد. ووصل مدينة أزور، فلقيه جماعة من أصحاب الجراح فردهم معه. ووصل إلى خلاط فحاصرها وفتحها، وقسم غنائمها. ثم سار عنها يفتح القلاع والحصون إلى بروعة فنزلها وابن خاقان يومئذ باذربيجان يحاصر مدينة ورثان منها ويبعث في نواحيها وبعث الحريشي إلى

أهل ورثان يخبرهم بوصوله، فأخرج العدو عنهم ووصل إليهم الحريشي. ثم اتبع العدو إلى أردبيل، وجاءه بعض عيونه بأن عشرة آلاف من عسكرهم على أربعة فراسخ منه، ومعهم خمسة آلاف بيت من المسلمين أسارى وسبايا، فبيتهم وقتلهم أجمعين، ولم ينج منهم أحد. واستنقذ المسلمين منهم. وسار إلى باجروان فجاءه عين آخر ودله على جمع منهم، فسار إليهم واستلحمهم أجمعين، واستنقذ من معهم من المسلمين، وكان فيهم أهل الجراح وولده، فحملهم إلى باجروان. ثم زحف إليهم جموع الخزر مع ابن ملكهم، والتقوا بأرض زرند واشتد القتال والسبي من معسكر الكفار، فبكى المسلمون رحمة لهم، وصدقوا الحملة. فانهزم الكفار وأتبعهم المسلمون إلى نهر أرس، وغنموا ما كان معهم من الأموال واستنقذوا الأسرى والسبايا وحملوهم إلى باجروان ثم تناصر الخزر في ملكهم ورجعوا فنزلوا نهر البيلقان واقتتلوا قتالاً شديداً. ثم انهزموا فكان من غرق أكثر ممن قتل وجمع الحريشي الغنائم وعاد إلى باجروان فقسمها، وكتب إلى هشام بالفتح. واستقدمه وولّى أخاه مسلمة على أرمينية وأذربيجان.

وقعة الشعب بين الجنيد وخاقان:

وخرج الجنيذ سنة اثنتي عشرة ومائة من خراسان غازياً إلى طخارستان، وبعث إليها عمارة بن خزيم في ثمانية عشرألفاً، وبعث إبراهيم بن سام الليثي في عشرة آلاف إلى وجه آخر، وحاشتك التركي. وزحف بهم خاقان إلى سمرقند وعليها سورة بن أبجر، فكتب إلى الهند مستغيثا، فأمر الجنيد بعبور النهر. فقال له المجشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الأزدي إن الترك ليسوا كغيرهم، وقد مزقت جندك. فسلم ابن عَبْد الرحمن بالنبراود والبختري بهراة، وعمارة بن حزيم بطخارستان. ولا تعبر النهر في أقل من خمسين ألفاً. فاستقدم عمارة وأمهل، فقال أخي على سورة وعبر الجنيد، فنزل كش وتأهب للسير. وغؤر الترك الآبار في طريق كش وسار الجنيد على التعبية، واعترضه خاقان ومعه أهل الصغد وفرغانة والشاش، وحملوا على مقدمته، وعليها عثمان بن عَبْد الله بن الشخيرفرجعوا والترك في اتباعهم. ثم حملوا على المدينة، وأمدهم الجنيد

بنصر بن سيار، وشدوا على العدو وقتل أعياناً منهم. وأقبل الجنيد على الميمنة، وأقبل تحت راية الأزد، فقال له صاحب الراية: ما قصدت كرامتنا لكن علمت أنا لا نصل إليك ومنا عين تطرف! فصبروا وقاتلوا حتى كفت سيوفهم. وقطع عبيدهم الخشب فقاتلوا بها حتى أدركهم الملل، وتعانقوا تحاجزوا، وهلك من الأزد في ذلك المعترك نحو من ثمانين. فيهم عَبْد الله بن بسطام، ومحمد بن عَبْد الله بن جودان، والحسين بن شيخ، وبزيد بن المفضل الحراني. وبين الناس كذلك إذ طلعت أوائل عسكر خاقان، فنادى منادي الجنيد بالنزول فترجلوا، وخندق كل كائن على رجاله. وقصد خاقان جهة بكر بن وائل وعليهم زياد بن الحارث فحملت بكر عليهم فأفرجوا واشتد القتال. وأشار أصحاب الجنيد عليه بأن يبعث إلى سورة بن أبجر من سمرقند ليتقدم الترك إليه ليكون لهم شغل به عن الجنيد وأصحابه. فكتب يستقدمه فاعتذر، فأعاد عليه وتهدده وقال: اخرج وسر مع النهر لا تفارقه، فلما خرج هو استبعد طريق النهر، واستخلف على سمرقند موسى بن أسود الحنظلي. وسار محمد في اثني عشرألفاً حتى إذا بقي بينه وبين الجنيد وعساكره فرسخ لقيه خاقان عند الصباح، وحال بينهم وبين الماء وأضرم النار في اليبس حواليهم فاستماتوا وحملوا، وانكشف الترك وأظلم الجو بالعجاج. وكان من وراء الترك لهب سقط فيه جميع العدؤوالمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذه. ثم عطف الترك فقتلوا المسلمين ولم يبق منهم إلا القليل، وانحاش بالناس المهلب بن زياد والعجمي في ستمائة أو ألف، ومعه قُرَيْش بن عَبْد الله العبدي إلى رستاق البرغاب، وقاتلوا بعض قصوره، فأصيب المهلب وولوا عليهم الرحب بن خالد. وجاءهم الأسكيد صاحب نسف وغورك ملك الصغد فنزلوا معه إلى خاقان، فلم يجزأمان غورك وقتلهم ولم ينج منهم أحد. ثم خرج الجنيد من الشعب قاصدا سمرقند، وأشار عليه مجشر بن مزاحم بالنزول فنزل، ووافقته جموع الترك. فجال الناس جولة، وصبر المسلمون، وقاتل العبيد وانهزم العدو. ومضى الجنيد إلى سمرقند فحمل العيالات إلى مرو، وأقام بالصغد أربعة أشهر. وكان صاحب الرأي بخراسان في الحرب المجشر بن مزاحم السلمي، وعبد الرحمن بن أصبح المخزومي، وعبيد الله بن حبيب الهجري. ولما انصرفت الترك بعث الجنيد نهار بن توسعة بن تيم الله، وزميل بن سوذيد بن شيم بالخبر. وتحامل فيه على سورة بن أبجر بما عصاه من مفارقة النهر حتى نال العدو منه. فكتب إليه هشام قد بعث إليك من المدد عشرة آلاف من البصرة، ومثلها من الكوفة، وثلاثون ألف رمح ومثلها سيفاً. اقام

الجنيد بسمرقند، وسار خاقان إلى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم، فخاف عليه من الترك. واستشار عَبْد الله بن أبي عَبْد الله مولى بن سليم بعد أن اختلف عليه أصحابه، فاشترط عليه أن لا يخالفه. فأشار بحمل العيالات من سمرقند، فقدمهم واستخلف بسمرقند عثمان بن عَبْد الله بن الشخير في أربعمائه فارس وأربعمائه راجل، ووفرأعطياتهم. وسار العيالات في مقدمته حتى من الضيق ودنا من الطواويس، فأقبل إليه خاقان بكير ميمنة أول رمضان سنة اثنتي عشرة واقتتلوا قليلاً ثم رجع الترك وارتحل من الغد، فاعترضه الترك ثانياً وقتل مسلم بن أحوز بعض عظمائهم، فرجعوا من الطواوشى. ثم دخل الجنيد بالمسلمين بخارى، وقدمت الجنود من البصرة والكوفة، فسّرح الجنيد معهم حورثة بن زيد العنبري فيمن انتدب معه.

ولاية عاصم علي خراسان وعزل الجنيد:

بلغ هشاماً سنة ست عشرة أن الجنيد بن عَبْد الرحمن عامل خراسان تزوج بنت يزيد بن المهلب، فغضب لذلك وعزله، وولى مكانه عاصم بن عَبْد الله بن يزيد الهلالي، وكان الجنيد قد مرض بالاستسقاء. فقال هشام لعاصم إن أدركته وبه رمق فأزهق نفسه، فلما قدم عاصم وجده قد مات، وكانت بينهما عداوة، فحبس عمارة بن حزيم، وكان الجنيد استخلفه وهو ابن عذبة، فعذبه عاصم وعذب عمال الجنيد.

ولاية مروان بن محمد علي أرمينية وأذربيجان:

لمّا عاد مسلمة من غزو الخزر وهم التركمان إلى بلاد المسلمين، وكان في عسكره مروان بن محمد بن مروان، فخرج مختفياً عنه إلى هشام، وشكا له من مسلمة وتخاذله عن الغزو، وما أدخل بذلك على المسلمين من الوهم. وبعث إلى العدو بالحرب، وأقام شهراً حتى استعدوا وحشدوا، ودخل بلادهم فلم يكن له فيهم نكاية وقصد، أراد السلامة ورغب إليه بالغزو إليهم لينتقم منهم، وأن يمده بمائة وعشرين ألف مقاتل ويكتم عليه.

فأجابه لذلك وولاه على أرمينية، فسار إليها وجاءه المدد من الشام والعراق والجزيرة. فأظهر أنه يريد غزو اللان، وبعث إلى ملك الخزر في المهادنة، فأجاب وأرسل رسله لتقرير الصلح فأمسكهم مروان إلى أن تجهز، وودعهم وسار إلى أقرب الطرق. فوافاهم ورأى ملك الخزر أن اللقاء على تلك الحال غرر، فتأخر إلى أقصى بلاده. ودخل مروان فأوغل فيها وخرب وغنم وسبى إلى آخرها. ودخل بلاد ملك السرير وفتح قلاعها، وصالحوه على ألف رأس نصفها غلمان ونصفها جواري، ومائة ألف مد تحمل إلى الباب. وصالحه أهل تومان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مد. ثم دخل أرض وردكران فصالحوه. ثم أتى حمرين وافتتح حصنهم، ثم أتى سبدان فافتتحها صلحاً، ثم نزل صاحب اللكز في قلعته وقد امتنع من أداء الوظيفة، فخرج يزيد ملك الخزر، فاصيب بسهم ومات وصالح أهل اللكز مروان، وأدخل عامله، وسار مروان إلى قلعة سروان فأطاعوا، وسار إلى الرودانية فأوقع بهم ورجع.

خلع الحرث بن شريح بخراسان:

كان الحارث هذا عظيم الأزد بخراسان، فخلع سنة ست عشرة ولبس السواد، ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه، والبيعة للرضا علىما كان عليه دعاة بني العباس هناك. وأقبل إلى الغاربات، وجاءته رسل عاصم مقاتل بن حيان النبطي والخطاب بن محرز السلمي فحبسهما وفروا من السجن إلى عاصم بدم الحارث وغدره. وسار الحارث من الغاربات إلى بلخ وعليها نصر بن سيار والنجيبي، فلقياه في عشرة آلاف وهو في أربعة، فهزمهم وملك بلخ، واستعمل عليها سليمان بن عَبْد الله بن حازم. وسارإلى الجوزجان عليها ثم سار إلى مرو، ونمي إلى عاصم أن أهل مرو يكاتبونه، فاستوثق منهم بالقسامة وخرج وعسكر قريباً من مرو، وقطع الجسور. وأقبل الحارث في ستين ألفاً ومعه فرسان الأزد ونميم، ودهاقين الجوزجان والغاربات، وملك الطالقان، وأصلحوا القناطر، ثم نزع محمد بن المثنى في ألفين من الأزد، وحماد بن عامر

الجابي في مثلها من بني تميم إلى عاصم، ولحقوا به ثم اقتتلوا. فانهزم الحارث وغرق كثير من أصحابه في نهر مرو، وقتلوا قتلاً ذريعاً. وكان ممن غرق حازم. ولما قطع الحارث نهر مرو ضرب رواقه واجتمع إليه بها ثلاثة آلاف فارس وكف عاصم عنهم.

ولاية أسد القسري الثانية بخراسان:

كتب عاصم إلى هشام سنة سبع عشرة أن خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى العراق ليكون مددها قريب الغوث، فضم هشام خراسان إلى خالد بن عَبْد الله القسري وكتب إليه ابعث أخاك يصلح ما أفسد فبعث خالد أخاه أسدا، فسار على مقدمته محمد بن مالك الهمداني. ولما بلغ عاصم الخبر راود الحارث بن شريح على الصلح، وأن يكتبا جميعاً إلى هشام يسألانه الكتاب والسنة، فإن أبى اجتمعا. وأبى بعض أهل خراسان ذلك فانتقض بينهما واقتتلا، فانهزم الحارث وأسر من أصحابه كثير قتلهم عاصم. وبعث بالفتح إلى هشام مع محمد بن مسلم العنبري، فلقيه أسد بالري. وجاء إلى خراسان فبعث عاصماً وطلبه بمائة ألف درهم، وأطلق عمارة بن حزيم وعمال الجنيد، ولم يكن لعاصم بخراسان إلا مرو ونيسابور. وكانت مرو الروذ للحارث، وواصل لخالد بن عبيد الله الهجري على مثل رأي الحارث. فبعث أسد عَبْد الرحمن بن نعيم في أهل الكوفة والشام إلى الحارث، وسار هو بالناس إلى امد. فخرج إليه زياد القرشي مولى حيان النبطي في العسكر، فهزمهم أسد وحاصرهم حتى سألوا الأمان، واستعمل عليهم يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني وسار إلى بلخ. وقد بايعوا سليمان بن عَبْد الله بن حازم، فسار حتى قدمها. ثم سار منها إلى ترمذ، والحارث محاصر لهما. وأعجزه وصول المدد إليها فخرج إلى بلخ، وخرج أهل ترمذ فهزموا الحارث وقتلوا أكثر أصحابه. ثم سار أسد إلى سمرقند ومر بحصن زم وبه أصحاب، الحارث، فبعث إليهم وقال إنما نكرتم منا سوء السيرة، ولم يبلغ ذلك النساء واستحلال الفروج، ولا مظاهر المشركين على مثل سمرقند، وأعطاه الأمان على تسليم سمرقند. وهدده إن قاتل بأنه لا يؤمنه أبدا. فخرج إلى الأمان وسار معه إلى سمرقند فنزلهم على الأمان. ثم رجع أسد إلى بلخ وسرح جديعأ الكرماني إلى القلعة التي فيها ثقل الحارث وأصحابه في طخارستان، فحاصرها وفتحها وقتل مقاتلهم ومنهم بنو بزري من ثعلب أصحاب الحارث. وباع سبيهم في سوق بلخ، وانتقض على الحرث

أربعمائة وخمسون من أصحابه بالقلعة، ورئيسهم جرير بن ميمون القاضي. فقال لهم الحارث إن كنتم مفارقي ولا بد فاطلبوا الأمان، وإن طلبتموه بعد رحيلي لا يعطونه لكم، فأبوا إلا إن ارتحل، فبعثوا بالأمان فلم يجبهم إليه. وسرح جديعة الكرماني في ستة آلاف، فحصرهم حتى نزلوا على حكمه. وحمل خمسين منهم إلى أسد فيهم ابن ميمون القاضي. فقتلهم وكتب إلى الكرماني بإهلاك الباقين، واتخذ أسد مدينة بلخ داراً، ونقل إليها الدواوين. ثم عزا طخارستان وأرض حبونة فغنم وسبى.

مقتل خاقان:

ولما كانت سنة تسع عشرة غزا أسد بن عَبْد الله بلاد الختل، فافتتح منها قلاعاً وامتلأت أيدي العسكرمن السبي والشاء، وكخب ابن السائحي صاحب البلاد يستجيش خاقان على العرب ويضعفهم له، فتجهز وخفف من الأزودة استعجالا للعرب. فلما أحس به ابن السائحي بعث بالنذير إلى أسد فلم يصدقه، فأعاد عليه أني الذي استمددت خاقان لأنك مغرت البلاد. ولا أريد أن يظفر بك خشية من معاداة العرب، واستطالة خاقان علي، فصدقه حينئذ أسد وبعث الأثقال مع إبراهيم بن عاصم العقيلي، الذي كان ولي سجستان، وبعث معه المشيخة كثير بن أُمَيَّة، وأبا سفيان بن كثير الخزاعي، وفضيل بن حيان المهري وغيرهم، وأمدهما بجند آخر. وجاء في أثرهم فانتهى إلى نهر بلخ، وقد قطعه إبراهيم بن عاصم بالسبي والأثقال، فخاض النهر من ثلاثة وعشرين موضعاً، وحمل الناس شياههم حتى حمل هو شاة، فما استكمل العبور حتى طلعت عليهم الترك وعلى المسلحة الأزد وتميم. فحمل خاقان عليهم فانكشفوا، فرجع أسد إلى عسكره وخندق. وظنوا أن خاقان لا يقطع النهر، فقطع النهر إليهم، وقاتله المسلمون في معسكرهم، وباتوا والترك محيطون بهم. فلما أصبحوا لم يروا منهم أحدا فعلموا أنهم اتبعوا الأثقال والسبي، واستعلموا علمها من الطلائع، فشاور أسد الناس فأشاروا بالمقام، وأشار نصر بن سيار باتباعهم يخلص الأثقال ويقطع شقة لا بد من قطعها، فوافقه أسد وطير النذير إلى إبراهيم بن عاصم، وصبح خاقان للأثقال وقد خندقوا عليهم. فأمر أهل الصغد بقتلهم، فهزمتهم مسلحة المسلمين فصعد

على تل حتى رأى المسلمين من خلفهم. وأمر الترك أن يأتوهم من هنالك، ففعلوا وخالطوهم في معسكرهم، وقتلوا صاغان خذاه وأصحابه، وأحسوا بالهلاك. وإذا بالغبار قد رهج والترك يتنحون قليلاً قليلاً وجاء أسد ووقف على التل الذي كان. عليه خاقان. وخرج إليه بقية الناس، وجاءته امرأة صاغان خذاه معولة، فأعول معها، ومضى خاقان يقود أسرى المسلمين في الافاق ويسوق الإبل الموقورة والجواري. وأراد أهل العسكر قتالهم، فمنعهم أسد. ونادى رجل من عسكر خاقان وهو من أصحاب الحارث بن شريح يعير أسداً ويحرضه ويقول: قد كان لك عن الختل مندوحة، وهي أرض أبائي وأجدادي، قد كان ما رأيت، ولعل الله ينتقم منك.

ومضى أسد إلى بلخ فعسكرفي مرجها حتى جاء الشتاء، فدخل البلد وشتى فيها. وكان الحارث بن شريح بناحية طخارستان، فانضم إلى خاقان وأغراه بغزو خراسان، وزحفوا إلى بلخ. وخرج أسد يوم الأضحى، فخطب الناس وعرفهم بأن الحارث بن شريح استجلب الطاغية ليطفىء نور الله ويبدل دينهم، وحرضهم على الاستنصار بالله. وقال أقرب ما يكون العبد لله ساجداً. ثم سجد وسجد الناس وأخلصوا الدعاء، وخرج للقائهم وقد استمد خاقان من وراء النهر، وأهل طخارستان وحبونة في ثلاثين ألفاً، وجاء الخبر إلى أسد وأشار بعض الناس بالتحصن منهم بمدينة بلخ واستمد خالد وهشام وأبي الأسد إلا اللقاء، فخرج واستخلف على بلخ الكرماني ابن علي. وعهد إليه أنه لا يدع أحدا يخرج من المدينة. واعتزم نصر بن سيار والقاسم ان نجيب وغيرهم على الخروج، فأذن لهم وصلى بالناس ركعتين وطول. ثم دعا وأمر الناس بالدعاء، ونزل من وراء المنطره ينتظر من تخلف. ثم بدا له وارتحل، فلقى طليعة خاقان وأسر قائدهم. وسار حتى نزل على فرسخين من الجوزجان. ثم أصبحوا وقد تراءى الجمعان، وأنزل أسد الناس ثم تهيأ للحرب ومعه الجوزجان اهـ. وحملت الترك على الميسرة فانهزموا إلى رواق أسد، فشدت عليهم الأسد وبنو تميم والجوزجان من الميمنة، فانكشفوا إلى خاقان وقد انهزم والحارث معه. وأتبعهم الناس ثلاثة فراسخ يقتلونهم، واستاقوا مائة وخمسين ألفاً من الشاء ودواب كثيرة. وسلك خاقان غير الجادة والحارث بن شريح ولقيهم أسد عند الطريق، وسلك الجوزجان بعثمان بن عَبْد الله بن الشخيرطريقاً

يعرفها، حتى نزلوا على خاقان وهو آمن، فتركوا الأبنية والقدور تغلي، وبناء العرب والموالي والعسكر مشحون من آنية الفضة، وركب خاقان والحارث يمانع عنه. وأعجلوا امرأة خاقان عن الركوب فقتلها الخصي الموكل بها. وبعث أسد بجوار الترك دهاقين خراسان يفادون بها أسراهم، وأقام خمسة أيام وانصرف إلى بلخ لتاسعة من خروجه. ونزل الجوزجان وخاقان هارب أمامه. وانتهى خاقان إلى جونة الطخاري فنزل عليه، وانصرف أسد إلى بلخ، وأقام خاقان عند جونة حتى أصلح الله وسار وسبية بها، فأخذه جدكاوش أبو فشين فأهدى إليه وأتحفه وحمل أصحابه، يتخذ بذلك عنده يداً. ثم وصل خاقان بلاده وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند، وحمل الحرث وابن شريح وأصحابه على خمسة آلاف برذون، ولاعب خاقان بالنرد كورصول يوماً، فغمزه كورصول فأنف وتشاجر، فصك كورصول يد خاقان، فحلف خاقان ليكسرن يده فتنحى وجمع. ثم بيّت خاقان فقتله، وافترق الترك وحملوه وتركوه بالعراء، فحمله بعض عظمائهم ودفنه. وكان أسد بعث بالفتح من بلخ إلى خالد بن عَبْد الله، فأخبره وبعث به إلى هشام فلم يصدقه، ثم بعده القاسم بن نجيب بقتل خاقان، فبعث قيس أسداً وخالداً وقالوا لهشام: استقدم مقاتل بن حيان. فكتب بذلك إلى خالد، فأرسل إلى أسد أن يبعث به فقدم على هشام والأبرش وزيره جالس عنده، فقص عليه الخبر فسر بذلك وقال لمقاتل: ما حاجتك؟ قال يزيد بن المهلب أخذ من حيان أبي مائة ألف درهم بغير حق، فأمر بردها علي. فاستخلفه وكتب له بردها وقسمها مقاتل بين ورثة حيان. ثم غزا أسد الختل بعد مقتل خاقان، وقدم مصعب بن عمرالخزاعى إليها فسار إلى حصن بدر طرخان، فاستأمن له أن يلقى أسداً فأمنه، وبعث إلى أسد فسأل أن يقبل منه ألف درهم، وراوده على ذلك، فأبى أسد ورده إلى مصعب ليرده إلى حصنه فقال له مسلمة بن أبي عَبْد الله:- وهو من الموالي- إن أمير المؤمنين سيندم على حبسه. ثم أقبل أسد بالناس ووعد له المجشر بن مزاحم بدرطرخان أو قبول ما عرض، فندم أسد وأرسل إلى مصعب يسأل عنه، فوجده مقيماً عند مسلمة، فجيء به وقطعت يده. ثم أمر رجلاً من الأزد كان بدرطرخان قتل أباه، فضرب عنقه وغلب على القلعة، وبعث العساكر في بلاد الختل، فامتلأت أيديهم من الغنائم والسبي وامتنع ولد بدر طرخان

وأمواله في قلعة فوق بلدهم صغيرة فلم يوصل إليهم.

وفاة أسد:

وفي ربيع الأول سنة عشرين توفي ابن عَبْد الله القسري بمدينة بلخ، واستخلف جعفربن حنظلة النهروانيّ، فعمل أربعة أشهر ثم جاء عهد نصر بن سيّار بالعمل في رجب.

ولاية يوسف بن عمر الثقفي علي العراق وعزل خالد:

وفي هذه السنة عزل هشام خالداً عن أعماله جميعها بسعاية أبي المثنى وحسان النبطي، وكانا يتوليان ضياع هشام بالعراق، فثقلا على خالد، وأمر الأشدق بالنهوض على الضياع. وأنهى ذلك حسان بعد أبي المثنى، وأن غلته في السنة ثلاثة عشر ألف ألف، فوقرت في نفس هشام. وأشار عليه بلال بن أبي بردة والعريان بن الهيثم أن يعرض أملاكه على هشام، ويضمنون له الرضا فلم يجبهم. ثم شكا من خالد بعض آل عمر والأشدق بأنه أغلظ له في القول بمجلسه، فكتب إليه هشام يوبّخه ويأمره بأن يمشي ساعياً على قدميه إلى بابه ويترضاه. ونميت عنه من هذا أقوال كثيرة، وأنه يستقل ولاية العراق فكتب إليه هشام يا ابن ام خالد بلغني أنك تقول ما ولاية العراق لي بشرف، يا ابن اللخناء كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً وأنت من بجيلة القليلة الذليلة؟ أمَّا والله إني لأظن أن أول من يأتيك صقر من قُرَيْش يشد يديك إلى عنقك. ثم كتب إلى يوسف بن عمر الثقفي وهو باليمن، يأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه إلى العراق فقد ولاه ذلك. فسار إلى الكوفة ونزل قريباً منها، وقد ختن طارق، خليفة خالد بالكوفة، ولده، وأهدى إليه وصيفاً ووصيفة سوى الأموال والثياب.ومرّ يوسف وأصحابه ببعض أهل العراق فسألوهم فعرضوا وظنوهم خوارج، وركب يوسف إلى دورثقيف فكتموا، ثم جمع يوسف بالمسجد من كان هنالك من مضر، ودخل مع الفجر فصلى، وأرسل إلى خالد وطارق فأخذهما. وقيل إن خالداً كان بواسط، وكتب إليه بالخبر بعض أصحابه من دمشق، فركب إلى خالد وأخبره بالخبر وقال: اركب إلى أمير المؤمنين واعتذرإليه، قالى لا أفعل بغير إذن، قال فترسلني أستأذنه؟ قال لا، قال فاضمن له جميع ما انكسر في هذه السنين وآتيك بعهده

وهي مائة ألف ألف. قال: والله ما أجد عشرة آلاف ألف. قال أتحملها أنا وفلان وفلان، قال لا أعطي شيئاً وأعود فيه. فقال طارق: إنما نقيك ونقي أنفسنا بأموالنا، ونستبقي الدنيا وتبقى الدنيا عليك وعلينا خيرمن أن يجيء من يطالبنا بالأموال وهي عند الكوفة، فنقتل ويأكلوا الأموال. فأبى خالد من ذلك كله، فودعه طارق ومضى وبكى ورجع إلى الكوفة. وخرج خالد إلى الحمَّة، وجاء كتاب هشام بخطه إلى يوسف بولاية العراق، وأن يأخذ ابن النصرانية يعني خالداً وعماله فيعذبهم فأخذ الأولاد وسار من يومه، واستخلف على اليمن ابنه الصلت. وقدم في جمادى الأخيرة سنة عشرين ومائة، فنزل النجف وأرسل مولى كيسان فجاء بطارق ولقيه بالحيرة، فضربه ضرباً مبرحاً ودخل الكوفة. وبعث عثمان عطاء بن مقدم إلى خالد بالحُمّة، فقدم عليه وحبسه، وصالحه عنه ابان بن الوليد وأصحابه على سبعة آلاف ألف. وقيل أخذ منه مائة ألف وكانت ولايته العراق خمس عشرة سنة. ولما ولي يوسف نزلت الذلة بالعراق في العرب، وصار الحكم فيه إلى أهل الذمة.

ولاية نصر بن سيار خراسان وغزوه وصلح الصغد:

ولما مات أسد بن عَبْد الله ولّى هشام على خراسان نصر بن سيار، وبعث إليه على عهده عَبْد الكريم بن سليط الحنفي، وقد كان جعفر بن حنظلة لمّا استخلفه أسد عند موته، عرض على نصرأن يوليه بخارى. فقال له البحتريّ بن مجاهد مولى بني شيبان لا تقبل فإنك شيخ مضر بخراسان، وكان عهدك قد جاء على خراسان كلها فكان كذلك. ولما ولي نصر استعمل على بلخ مسلم بن عَبْد الرحمن، وعلى مرو الروذ وشاح بن بكير بن وشاح، وعلى هراة الحرث بن عَبْد الله بن الحشرج، وعلى نيسابور زياد بن عَبْد الرحمن القسري وعلى خوارزم أبا حفص علي بن حقنة، وعلى الصغد قطن بن قتيبة. وبقي أربع سنين لا يستعمل في خراسان إلا مضريّاً، فعمرت عمارة لم تعمر مثلها، وأحسن الولاية والجباية. وكان وصول العهد إليه بالولاية في رجب سنة عشرين فغزا غزوات أولها إلى ما وراء النهر من نحو باب الحديد. وسار إليها من بلخ، ورجع إلى مرو، فوضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة، وجعلها على من كان يخفف عنه منهم. وانتهى عددهم ثلاثين ألفاً من الصنفين، وضعت عن هؤلاء وجعلت على هؤلاء ثم غزا الثانية إلى سمرقند، ثم الثالثة إلى الشاش سار إليها من

مرو، ومعه ملك بخارى وأهل سمرقند وكش ونسف في عشرين ألفاً. وجاء إلى نهر الشاش فحال بينه وبين عبوره كورصول، عسكر نصر في ليلة ظلماء، ونادى نصر لا يخرج أحد. وخرج عاصم بن عمير في جند سمرقند، فجاولته خيل الترك ليلاً وفيهم كورصول، فأسره عاصم وجاء به إلى نصر فقتله وصلبه على شاطىء النهر، فحزنت الترك لقتله وأحرقوا أبنيته وقطعوا آذانهم وشعورهم وأذناب خيولهم. وأمر نصر بإحراق عظامه لئلا يحملوها بعد رجوعه. ثم سار إلى فرغانة فسبى منها ألف رأس، وكتب إليه يوسف بن عمران ليسير إلى الحارث بن شريح في الشاش ويخرب بلادهم ويسبيهم. فسار لذلك وجعل على مقدمته يحيى بن حصين، وجاء بهم إلى الحارث وقاتلهم، وقتل عظيماً من عظماء الترك، وانهزموا.

وجاء ملك الشاش في الصلح والهدنة والرهن. واشترط نصر عليه إخراج الحارث بن شريح من بلده فأخرجه إلى فاراب. واستعمل على الشاش بنزل بن صالح مولى عمرو بن العاص. ثم سار إلى أرض فرغانة وبعث أمه في إتمام الصلح، فجاءت لذلك وأكرمها نصر وعقد لها ورجعت. وكان الصغد لمّا قتل خاقان طمعوا في الرجعة إلى بلادهم، فلما ولي نصر بعث إليهم في ذلك وأعطوه ما سألوه من الشروط، وكان أهل خراسان قد نكروا شروطهم، وكان منها أن لا يعاقب من ارتد عن الإِسلام إليهم، ولا يؤخذ منهم أسرى إلا ببينة وحكم، وعاب الناس ذلك على نصر لمّا أمضاه لهم. فقال: لو عاينتم شكوتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم. وأرسل إلى هشام في ذلك فأمضاه وذلك سنة ثلاث وعشرين.

ظهور زيل بن علي ومقتله:

ظهر زيد بن علي بالكوفة خارجاً على هشام داعياً للكتاب والسنة، وإلى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء وردّ المظالم وأفعال الخير ونصر أهل البيت. واختلف في سبب خروجه فقيل: إن يوسف بن عمر لمّا كتب في خالد القسري كتب إلى هشام أنه شيعة لأهل البيت، وأنه ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار، ورد عليه الأمن. وأنه أودع زيداً وأصحابه الوافدين عليه مالاً، فكان زيد قد قدم على خالد بالعراق هو ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وداود بن علي بن عد الله بن عبّاس، فأجازهم ورجعوا إلى المدينة.

فبعث هشام عنهم وسألهم فأقرّوا بالجائزة، وحلفوا على ما سوى ذلك، وأن خالدا لم يودعهم شيئاً. فصدقهم هشام وبعثهم إلى يوسف، فقاتلوا خالداً وصدقهم الآخر، وعادوا إلى المدينة ونزلوا القادسية. وراسل أهل الكوفة زيداً فعاد إليهم، وقيل في سبب ذلك: إن زيداً اختصم مع ابن عمه جعفر بن الحسن المثنى في وقف علي، وكانا يحضران عند عامل خالد بن عَبْد الملك بن الحارث. فوقعت بينهما في مجلسه مشاتمة، وأنكر زيد من خالد إطالته للخصومة وأن يستمع لمثل هذا فأغلظ له زيد وسار إلى هشام فحجبه، ثم أذن له بعد حين. فحاوره طويلا ثم عرض له بأنه ينكر الخلاف وتنقصه. ثم قال له أخرج؟ قال نعم ثم لا أكون إلا بحيث تكره، فسار إلى الكوفة. وقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ناشدتك الله إلحق بأهلك ولا تأت الكوفة، وذكّرهُ بفعلهم مع جدّه، وجده يستعظم ما وقع به. وأقبل الكوفة فأقام بها مستخفياً ينتقل في المنازل. واختلف إليه الشيعة وبايعه جماعة: منهم مسلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبسي ومعاوية بن إسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري، وناس من وجوه أهل الكوفة يذكر لهم دعوته، ثم يقول أتبايعون على ذلك؟ فيقولون نعم فيضع يده على أيديهم ويقول عهد الله عليك وميثاقه وذمته وذمة نبيه بيقين تتبعني ولا تقاتلني مع عدوي ولتنصحن لي في السر والعلانية. فإذا قال نعم وضع يده في يده ثم قال: اللهم اشهد فبايعه خمسة عشر ألفاً، وقيل أربعون. وأمرهم بالاستعداد وشاع أمره في الناس، وقيل: إنه أقام في الكوفة ظاهراً ومعه داود بن عليّ بن عَبْد الله بن عبّاس لمّا جاؤا لمقاتلة خالد، فاختلف إليه الشيعة، وكانت البيعة. وبلغ الخبر إلى يوسف بن عمر فأخرجه من الكوفة، ولحق الشيعة بالقادسية أو الغلبية وعذله داود بن عليّ في الرجوع معه، وذكره حال جدّه الحسين. فقالت الشيعة لزيد: هذا إنما ريد الأمر لنفسه ولأهل بيته، فرجع معهم، ومضى داود إلى المدينة. ولما أتى الكوفة جاءه مسلمة بن كهيل فصده عن ذلك، وقال أهل الكوفة لا يعولون ذلك. وقد كان مع جدك منهم أضعاف مما معك ولم تعادله، وكان أعز عليهم منك على هؤلاء. فقال له قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وعنقهم. قال فتأذن لي أن أخرج من هذا البلد فلا آمن أن يحدث حدث وأنا لا أهلك نفسي، فخرج لليمامة. وكتب عَبْد الله بن الحسن المثنى إلى زيد يعذله ويصده، فلم يصغ إليه. وتزوج نساء بالكوفة وكان يختلف إليهن، والناس يبايعونه، ثم أمر

أصحابه يتجهّزون. ونمي الخبر إلى يوسف بن عمر فطلبه، وخاف فتعجّل الخروج وكان يوسف بالحيرة، وعلى الكوفة الحكم بن الصلت وعلى شرطته عمر بن عَبْد الرحمن من القاهرة، ومعه عبيد الله بن عبّاس الكندي في ناس من أهل الشام. ولما علم الشيعة أنّ يوسف يبحث عن زيد جاء إليه جماعة منهم فقالوا: ما تقول في الشيخين؟ فقال زيد: رحمهما الله وغفر لهما، وما سمعت أهل بيتي يذكرونهما إلا بخير. وغاية ما أقول إنا كنا أحق بسلطان رسول الله

ظهور أبي مسلم بالدعوة العباسية:

كان أهل الدعوة العباسية بخراسان يكتمون أمرهم منذ بعث محمد بن علي بن عَبْد الله بن عباس دعاته إلى الآفاق سنة مائة من الهجرة، أيام عمر بن عَبْد العزيز، لمّا مر أبو هاشم عَبْد الله بن محمد بن الحنفيّة ذاهباً وجائياً من الشام من عند سليمان بن عَبْد الملك، فمرض عنده بالحميمة من أعمال البلقاء، وهلك هنالك وأوصى له بالأمر. وكان أبو هاشم قد علّم شيعته بالعراق وخراسان وأن الأمر صائر في ولد محمد بن علي بن عَبْد الله بن عباس. فلما مات أبو هاشم قصدت الشيعة محمداً وبايعوه سرا، وبعث دعاته منهم إلى الآفاق. وكان الذي بعث إلى العراق مسيرة ابن والي خراسان محمد بن حبيش، وأمَّا عكرمة السرّاج، وهو أبو محمد الصادق وحيان العطاّر خال إبراهيم بن سلمة فجاؤوا إلى خراسان ودعوا إليه سرا وأجابهم الناس، وجاؤوا بكتب من أجاب إلى مسيرة ا هـ. فبعث بها إلى محمد، واختار أبو محمد الصادق اثني عشر رجلاً من أهل الدعوة فجعلهم نقباء عليهم وهم: سليمان بن كثير الخزاعي، ولاهز بن قريط التميمي، وأبوالنجم عمران بن إسماعيل مولى أبي معيط، ومالك بن الهيثم الخزاعي، وطلحة بن زريق الخزاعي، وأبو حمزة بن عمر بن أعين مولى خزاعة وأخوه عيسى، وأبو علي شبلة بن طهمان الهروي مولّى بني حنيفة. واختار بعده سبعين رجلاً، وكتب إليه محمد بن علي كتاباً يكون لهم مثالاً

يقتدون به في الدعوة، وأقاموا على ذلك. ثم بعث مسيرة رُسُله من العراق سنة اثنتين ومائة في ولاية سعيد خدينة، وخلافة يزيد بن عَبْد الملك. وسعى بهم إلى سعيد فقالوا نحن تجار، فضمنهم قوم من ربيعة واليمن فأطلقهم. وولد محمد ابنه عَبْد الله السفاح سنة أربع ومائة، وجاء إليه أبو محمد الصادق في جماعة من دعاة خراسان، فأخرجه لهم ابن خمسة عشر يوماً وقال هذا صاحبكم الذي يتم الأمر على يده، فقبلوا أطرافه وانصرفوا. ثم دخل معهم في الدعوة بكير بن هامان جاء من السند مع الجنيد بن عَبْد الرحمن. فلما عزل قدم الكوفة ولقي أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن حبيش وعمار العبادي خال الوليد الأزرق، دعاه إلى خراسان في ولاية أسد القسري أيام هشام ووشى بهم إليه، فقطع أيدي من ظفر به منهم وصلبه. وأقبل عمار إلى بكير بن هامان فأخبره، فكتب إلى محمد بن علي بذلك فأجابه: الحمد لله الذي صدق دعوتكم ومقالتكم، وقد بقيت فيكم قتلى ستعد. ثم كان أول من قدم محمد بن علي إلى خراسان أبو محمد زياد مولى همذان، بعثه محمد بن علي سنة تسعة في ولاية أسد أيام هشام وقال له: انزل في اليمن وتلطّف لمضر ونهاه عن غالب النيسابوري شيعة بني فاطمة. فشتى زياد بمرو، ثم سعى به إلى أسد فاعتذر بالتجارة، ثم عاد إلى أمره. فأحضره أسد وقتله في عشرة من أهل الكوفة. ثم جاء بعدهم إلى خراسان رجل من أهل الكوفة اسمه كثيِّر، ونزل على أبي الشحم وأقام يدعو سنتين أو ثلاثة، ثم أخذ أسد بن عَبْد الله في ولايته الثانية سنة سبع عشرة. أخذ سليمان بن كثيّر، ومالك بن الهيثم، وموسى بن كعب، ولاهز بن قريط بثلاثمائة سوط، وشهد حسن بن زيد الأسدي ببراءتهم فأطلقهم. ثم بعث بكير بن هامان سنة ثماني عشر عمّار بن زيد على شيعتهم بخراسان، فنزل مرو وتسمى بخراش، وأطاعه الناس. ثم نزل دعوتهم بدعوة الخرمية، فأباح النساء وقال: إن الصوم إنما هو عن ذكر الإمام، وأشار إلى إخفاء اسمه. والصلاة الدعاء له، والحج القصد إليه. وكان خراش هذا نصرانياً بالكوفة، وأتبعه على مقالته مالك بن الهيثم والحريش بن سليم. وظهر أسد على خبره، وبلغ الخبر بذلك إلى محمد بن علي فنكر عليهم قبولهم من خراش، وقطع مراسلتهم. فقدم عليه ابن كثير منهم يستعلم خبره ويستعطفه على ما وقع منهم، وكتب معه إليهم كتاباً مختوماً لم يجدوا فيه غير البسملة، فعلموا مخالفة خراش لأمره وعظم

عليهم. ثم بعث محمد بن بكير بن أبان، وكتب معه بكذب خراش فلم يصدقوه، فجاء إلى محمد وبعث مع عصيا مضبيةً بعضها بالحديد وبعضها بالنحاس. ودفع إلى كل رجل عصا فعلموا أنهم قد خالفوا السيرة فتابوا ورجعوا. وتوفي محمد بن علي سنة أربع وعشرين، وعهد إلى ابنه إبراهيم بالأمر وأوصى الدعاة بذلك، وكانوا يسمونه الإمام. وجاء بكير بن هامان إلى خراسان بنعيه، والدعاء لإبراهيم الإمام سنة ست وعشرين ومائة. ونزل مرو ودفع إلى الشيعة والنقباء كتابه بالوصية والسيرة فقبلوه، ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقاتهم، فقدم بها بكير على إبراهيم. ثم بعث إليهم أبا مسلم سنة أربع وعشرين وقد إختلف في أوليته اختلافاً كثيراً. وفي سبب اتصاله بإبراهيم الإمام أو أبيه محمد، فقيل كان من ولد بزر جمهر، ولد بأصبهان وأوصى به أبوه إلى عيسى بن موسى السراج، فحمله إلى الكوفة ابن سبع سنين. ونشأ بها واتصل بإبرهيم الإمام. وكان اسم أبي مسلم إبراهيم بن عثمان بن بشار، فسفاه إبراهيم الإمام عَبْد الرحمن وزوجة أبيه أبي النجم عمران بن إسماعيل من الشيعة. فبنى بها بخراسان، وزوج ابنته من محرز بن إبراهيم فلم يعقب. وابنته أسماء من فهم بن محرز، فأعقبت فاطمة، وهي التي يذكرها الخرمية. وقيل في اتصاله بإبراهيم الإمام: إنّ أبا مسلم كان موسى السراج، وتعلم منه صناعة السروج، وكان يتجهز فيها بأصبهان والجبال والجزيرة والموصل. واتصل بعاصم بن يونس العجلي صاحب عيسى السراج، وابن أخيه عيسى وإدريس ابني معقل، وإدريس هو جد أبي دلف. ونمي إلى يوسف بن عمران العجلي من دعاة بني العباس، فحبسهم مع عمال خالد القسري. وكان أبو مسلم معهم في السجن بخدمتهم وقبل منهم الدعوة. وقيل لم يتصل بهم من عيسى السّراج، وإنما كان من ضياع بني العجلي بأصبهان أو الجبل. وتوجه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهزبن قريط، وقحطبة بن شبيب من خراسان، يريدون إبراهيم الإمام بمكة، فمروا بعاصم بن يونس وعيسى وإدريس ابني معقل العجلي بمكانهم من الحبس فرأوا معهم أبا مسلم فأعجبهم وأخذوه. ولقوا إبراهيم الإمام بمكة فأعجبه فأخذه وكان يخدمه. ثم قدم النقباء بعد ذلك على إبراهيم الإمام يطلبون أن يوجه من قلبه إلى خراسان، فبعث معه أبا مسلم. فلما تمكن ونوى أمره ادّعى أنه من ولد سليط بن عَبْد الله بن عباس. وكان من أولية هذا الخبرأن

جارية لعبد الله بن العبّاس ولدت لغير رشدة فحدّها واستعبد وليدها وسماه سليطاً، فنشأ واختص بالوليد. وادعى أن عَبْد الله بن عباس أقر بأنه ابنه، وأقام البينة على ذلك. وخاصم علي بن عَبْد الله في الميراث وأذاه.

وكان في صحابته عمر الدنُّ من ولد أبي رافع مولى رسول الله

وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد:

توفي هشام بن عَبْد الملك بالرصافة في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، لعشرين سنة من خلافته، وولى بعده الوليد إبن أخيه يزيد بعهد يزيد بذلك كما مر، وكان الوليد متلاعباً، وله مجون وشراب وندمان، وأراد هشام خلعه فلم يمكنه. وكان يضرب من يأخذه في صحبته، فخرج الوليد في ناس من خاصته ومواليه، وخلف كاتبه عياض بن مسلم ليكاتبه بالأحوال، فضربه هشام وحبسه. ولم يزل الوليد مقيماً بالبرية حتى مات هشام، وجاءه مولى أبي محمد السفياني على البريد بكتاب سالم بن عَبْد الرحمن صاحب ديوان الرسائل بالخبر، فسأل عن كاتبه عياض فقال: لم يزل محبوساً حتى مات هشام، فأرسل إلى الحراق أن يحتفظوا بما في أيديهم حتى منعوا هشاماً من شيء طلبه. ثم خرج بعد موته من الحبس، وختم أبواب الخزائن. ثم كتب الوليد من وقته إلى عمه العباس بن عَبْد الملك أن يأتي الرصافة فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده وعماله وخدمه، إلا مسلمة بن هشام فإنه كان يراجع أباه بالرفق بالوليد، فانتهى العباس لمّا أمر به الوليد. ثم استعمل الوليد العمال وكتب إلى الآفاق بأخذ البيعة. فجاءته بيعتهم. وكتب مروان ببيعته واستأذن في القدوم. ثم عقد الوليد من سنته لإبنيه: الحكم وعثمان بعده وجعلهما وليي عهده، وكتب بذلك إلى العراق وخراسان.

ولاية نصر للوليد علي خراسان:

وكتب الوليد في سنته إلى نصر بن سيار بولايةٍ خراسان وأفرده بها، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى منه نصراً وعماله، فرد إليه الوليد خراسان. وكتب يوسف إلى نصر بالقدوم، ويحمل معه الهدايا والأموال وعياله جميعاً وكتب له الوليد بأن يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة، ويجمع له البراذين الغرّة ويجمع بذلك إليه في